

مواطن الشعوب الإسلامية
في آسيا

١٤

شبه جزيرة العرب

- ١ -
عسير

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

شبه جزيرة العرب

- ١ -

عسير

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

وحيثما اجلت الطرف اعترضت ناظريك خضرة واشجار
وملات الجو بهجة وإشراقاً وإن كانت تتخللها مرتفعات تبدو عارية
في المناطق الشديدة الانحدار وتبدو صخورها جرداء وسوادها
داكن وبخاصة إذا كان الوقت بعد منتصف النهار إذ تقع في ظل
النرا والمنحدرات فتزيدها عتمة . وتمتد الجبال في الشرق أمامك
ويقل ارتفاعها مع بعدها وتقل خضرتها باستمرار مع نايها حتى
تغيب في الأفق ويتمد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهرك
برمال الربع الخالي . . . وتبدو السماء أكثر زرقة والرؤية أكثر
وضوحاً لقلّة الرطوبة .

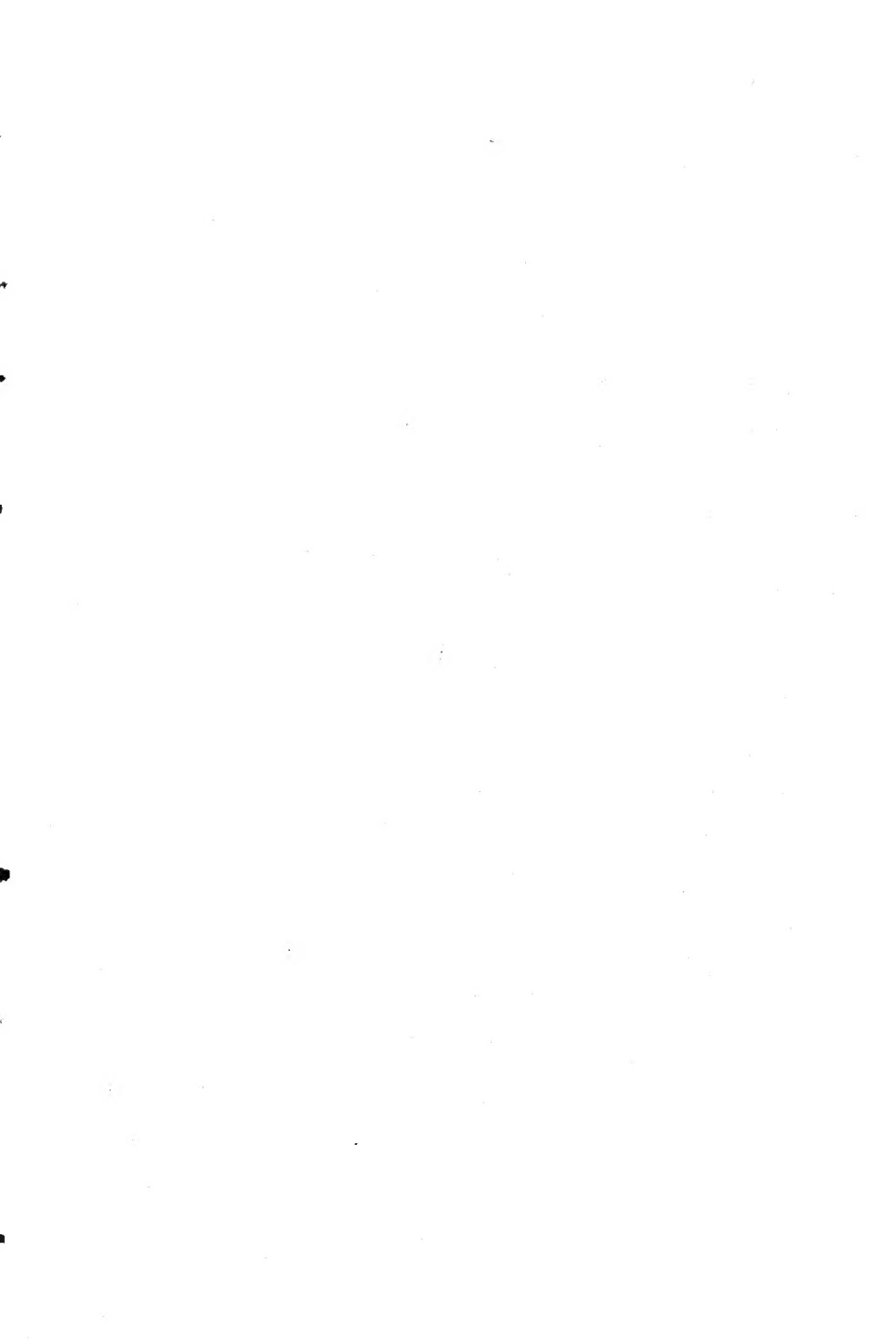
وتتوالى المرتفعات والأودية حتى تقسو على السالك الطرق
تغيب في الأفق ويتمد بصرك بعيداً بعيداً حتى يختفي المنظر في ذهرك
وحصوناً منيعة تعنو على الغازي وتمتنع على الطارق .

هذه مصايف الجزيرة العربية في المستقبل بعد أن تمسحها
يد الإعمار وترعاها يد الإصلاح .

* * *

الباب الأول

الجغرافية



الفصل الأول

التضاريس

تمتد في غربي بلاد العرب سلسلة من الجبال ، من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً ، وهذه السلسلة تخترقها أودية وشعاب كثيرة ، يشرق بعضها وبعضها يغرب ، وليست هذه السلسلة على درجة واحدة من حيث الارتفاع فمنها الشامخ ومنها المنخفض ، ومنها مسطح القمة له فراع واسعة فيها سكان ، ومنها ما هو مؤلل أصلع القمة خال من النبات ومن وسائل الحياة.

هذه السلسلة تسمى الحجاز ، ويعمل المتقدمون التسمية بأنها حجت بين الغور - وهو منخفض متصل بالبحر - وبين نجد - وهو أعالي الجزيرة المرتفعة - ذات الأرض السهلة التربة الكثيرة النبات عندما يجودها الغيث ويطلق على هذه السلسلة أيضاً اسم الطود ولكنه يخص جنوبها من قرب مكة حتى اليمن وقد يطلق على الطرف الجنوبي الشرقي اسم الجبل الأسود وعلى القسم الشمالي حجاز المدينة . كما يسمى القسم الجنوبي أيضاً باسم السراة وقد يقال فيه السروات لأن كل قسم فيه ينسب إلى قبيلة ويدعى سراة، أما القسم الشمالي فقد يطلق عليه اسم الشرة وخاصة الجبال الواقعة بين عسفان والمدينة .

وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الأشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الغنية بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي أروع من مناظر اليمن ، وهي أحسن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة) .

وعسير اليوم هي المقاطعة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية تمتد على مساحة واسعة وتضم أجزاء من تهامة وأقساماً من جبال السراة وسفوحها الشرقية .

١ - تهامة : وهي منطقة السهول الواقعة على طول ساحل البحر الأحمر حتى السروات وتضييق هذه المنطقة في الشمال حتى تكاد تنعدم تماماً وتصبح الجبال محاذية لساحل البحر الأحمر مباشرة ، ولذا فإن منطقة تهامة في الحقيقة تبدأ من جنوب جدة . ويزداد اتساع منطقة تهامة كلما اتجهنا جنوباً نحو جيزان وتصبح تهامة عسير أكثر اتساعاً وتتواجد فيها أراضٍ زراعية كبيرة على جوانب أوديتها إذ تمتاز بوجود طبقة طينية على سطحها في الجزء القريب جداً من الجبال وكذلك تمتاز بتواجد الطمي في الجزء الذي يليه قبل منطقة الساحل والتي تكون تربتها رملية . ونظراً لكون أراضي منطقة تهامة رسوية منقولة بواسطة مياه الأودية الآتية من الجبال فإن تربتها تتدرج بشكل واضح من المرتفعات إلى ساحل البحر بحيث تتميز بالآتي :

آ - تتواجد الأراضي الحجرية بالقرب من الجبال .
ب - تتواجد أراضي الطمي على جوانب مجاري الأودية
وتعرف باسم « الحزون » وفيها بعض الحرار والغياض وهي
غنية بالمراعي وفيها بعض الجبال من غير السروات .

ح - تتواجد الأراضي الرملية كلما اقتربنا من الساحل
حيث توجد سبخات ساحلية يصل عرضها أحياناً إلى ٤ كيلو
مترات ، وفي القسم الشمالي منها حرار بين ميناءي الشقيق
والقمحة .

د - تتواجد الأراضي الملحية بجوار الشواطئ .
وشواطئ تهامة قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن
وبخاصة الكبيرة منها لكثرة الجزر الصغيرة التي تكثر في البحر
الأحمر ومنها المرجانية . وتمتد شواطئ تهامة عسير بطول أكثر
من ٣٠٠ كيل ، ويتبعها ما يقرب من مائة جزيرة غير مسكونة
ما عدا أكبر تلك الجزر ، وأشهرها جزيرة فرسان ، وتوجد
بقرب تلك الجزر مغاصات اللؤلؤ .

ولعله من المفيد أن نتحدث شيئاً عن جزيرة فرسان التي
تبعد عن جيزان مسافة ستين ميلاً بحرياً ، وهي جزيرة صخرية
يصل طولها إلى مائة كيلو متر وعرضها إلى الثلاثين . ويزيد عدد
سكانها على خمسة آلاف نسمة ، وتشتمل على بلدة فرسان
قاعدة الجزيرة ، ويتبعها عدد من القرى منها : قرية المحرق وهي
واحة فيها أشجار النخيل ويزيد عددها على ستمائة وألف نخلة .

وقرية القِصار وهي واحة موفورة المياه العذبة ، ويمتج
ماؤها من آبار صخرية قريبة الجور قليلة العمق ، وتعتبر مكاناً
لنزهة أهل فرسان ، وفيها من أشجار النخيل ما يزيد على تسعة
آلاف نخلة .

ويزيد عدد قراها على العشر وعدد موانئها على الستة
وأشهر الموانئ مرسى تبّنة وموقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة
فرسان .

ويتبع جزيرة فرسان الجزر الآتية :

جزيرة السقيد : وتقدر مساحتها بنصف مساحة جزيرة
فرسان ، وتقع إلى الشمال الشرقي منها ، بينهما شريط مائي
قليل العمق تخوضه الجمال ولا يزيد عرضه على كيلو متر
واحد ، وغالب تربتها رملية ، وتتوفر فيها المياه العذبة ، وتحمل
قاعدتها الاسم نفسه « السقيد » وفيها من النخيل ما يقرب من
اثنى عشرة ألف نخلة .

جزيرة زفاف : ويبدو أنها تحوي على النفط في طبقات
أرضها .

جزيرة قمّاح : وفيها قرية أهلة بالسكان فيها عدد من
أشجار النخيل .

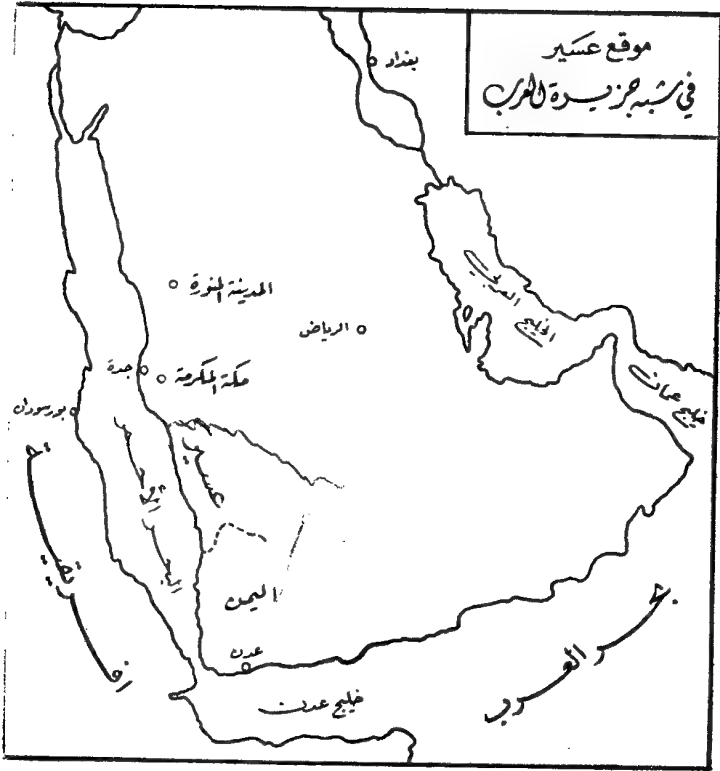
وسكان جزر فرسان من تغلب وكانوا قد تنصروا في القديم ،

ولهم كنائس في الجزر ، ولكنها قد خربت جميعها بزوال الدين
النصراني منها ، وهم أهل بأس وشجاعة • ويحملون التجارة إلى
بلاد الحبشة في العام مرة واحدة • ويدعي بعضهم أن سكان
فرسان ينتسبون إلى حمير • وفي الجزر جبل يقال له جبل
الكنيسة يقال إنه كان فيه آثار بناء قديم زال منذ عهد قريب •

٢ - السراة : وهي جبال مرتفعة يزيد علوها على
٣٠٠٠ م ، ويصل في جبل السود شمال مدينة أبها إلى ٣١٣٠ م
وهي جزء من الدرع العربي ذي الصخور البلورية والتي لا تحوي
على مياه جوفية مختزنة فيها لأنها غير منفذة لا يتسرب الماء إليها ،
ولذلك تقل فيها الينابيع ، وإن وجد بعضها فإنما بسبب تفتت
بعض صخور الغرانيت التي حوت بعض الماء أو في رواسب
الأودية والمنخفضات وكلاهما قليل • وهذه الجبال جزء من
السروات التي كانت وجبال إفريقية على الشاطئ الثاني للبحر
الأحمر والتي تمتد من مصر وحتى الصومال كتلة واحدة أصابتها
عدة انكسارات ارتفعت نتيجتها الجبال على جانبي الغور الذي
ملأته المياه وعرف باسم البحر الأحمر ، وكانت المرتفعات على
شكل مدرجات لتوالي الانكسارات التي خضعت لها المنطقة
ولذا فالجبال تميل بشدة نحو البحر في الغرب بينما تتجدر ببطء
نحو الهضبة الداخلية في الشرق ، ويكون انحدارها العام نحو
الشمال الشرقي •

وتعتبر هذه الجبال موزعة للمياه بين تهامة في الغرب وأودية
أخرى تسير نحو الشمال الشرقي أو إلى الشرق ، ولا نجد في
المنطقة الأودية الطولية التي نراها في الحجاز لعدم وجود انكسارات
في هذا الاتجاه تجري فيها الأودية •





الفصل الثاني

المناخ

المناخ : يختلف المناخ بين تهامة والسراة نتيجة الاختلاف في الارتفاع إذ تكون الحرارة مرتفعة في منطقة السهول صيفاً ويبلغ معدلها ٤٤ درجة مئوية ، وتكون هذه الحرارة مقرونة بالرطوبة مما يجعل تحملها صعباً ويشعر المرء بكثير من الضيق إذ يتسبب العرق منه باستمرار ، وكذا تتراوح نسبة الرطوبة بين ٨٥ - ٩٠٪ ، أما في الشتاء فلا تنخفض درجة الحرارة عن ١٧ درجة مئوية . وتكون الرطوبة بين ٣٠ - ٥٠٪ .

أما المناطق الجبلية فالحرارة تكون معتدلة فلا تزيد عن ٢٨ درجة مئوية في الصيف ، وتنخفض إلى ٣ درجات في الشتاء ومع ذلك فلا يشعر الإنسان بالبرد الشديد رغم الارتفاع الكبير إلا أن الرطوبة تجعل البرد غير قارس كما هو الحال في المناطق الصحراوية التي تمتد إلى الشرق منها .

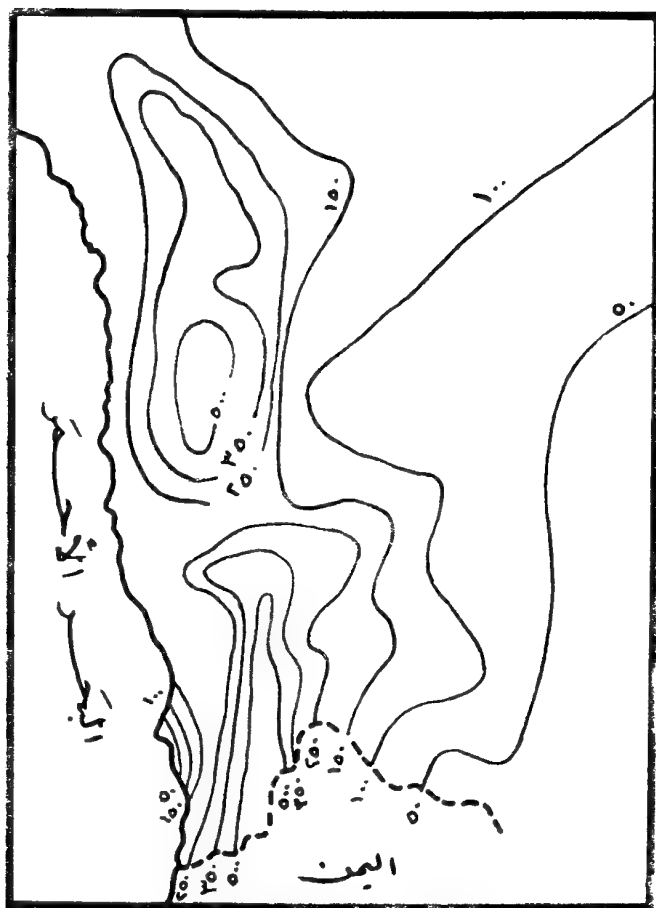
وتهب على عسير في الصيف الرياح الموسمية سواء الغربية منها أم الجنوبية الغربية فالأولى تصل إلى المنطقة من المحيط الأطلسي وتسبب سقوط الأمطار فوق هضبة الجبشة وعندما

الخضرة دائمة في المنطقة وإن كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية التي تكلمنا عنها ففي مدينة أبها يكون معدل الأمطار خلال أشهر السنة على الشكل التالي :

كانون الثاني ٣٠ مم	آب ٨٠ مم
شباط ٥٠ مم	ايلول ٦٠ مم
آذار ٣٠ مم	تشرين أول ٦٠ مم
نيسان ٥٠ مم	تشرين ثاني ٨٠ مم
أيار ٤٠ مم	كانون أول ٤٠ مم
حزيران ٦٠ مم	
تموز ١٠٠ مم	

ولما كانت أكثر الأمطار تهطل في فصل الصيف لذا نستطيع أن نقول إن موسم الأودية الرئيسي إنما هو نهاية الصيف حيث تنعقد الغيوم وتهطل الأمطار وتجري السيول .

وإن قسماً من مياه السيول يذهب بالتبخر لشدة الحرارة وبخاصة في تهامة بينما لا يضيع إلا القليل منها في التسرب إلى باطن الأرض بسبب صخور المنطقة الصلدة والتي لا تسمح للماء بالتسرب داخلها إذ أنها بلورية وغير منفذة .



مصور يوضح معدل الأمطار السنوي في
منطقة عسير

الفصل الثالث

الأودية والمياه

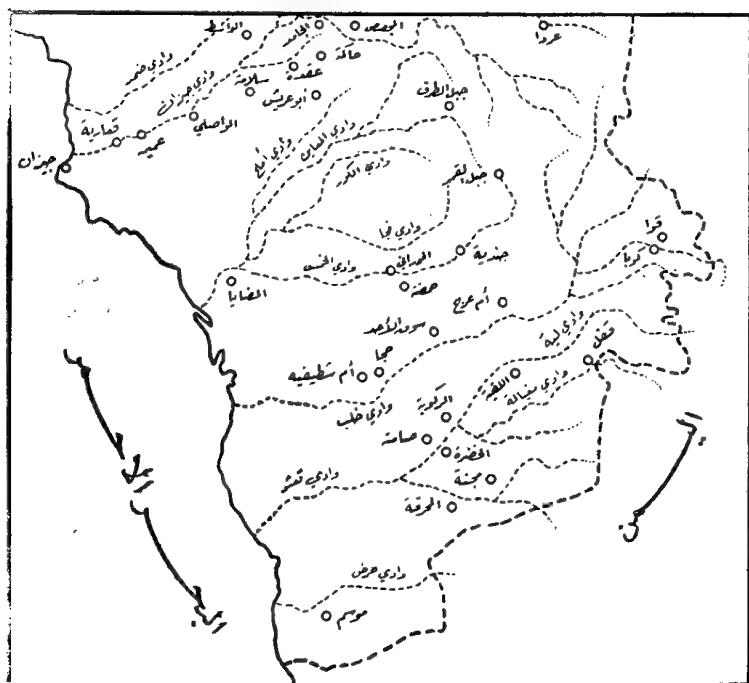
الأودية : نستطيع أن نقسم الأودية في عسير إلى قسمين:

١ - **أودية تهامة :** وهي أودية قصيرة المجرى تنحدر بسرعة نحو الغرب حيث تنتهي في البحر، وتتلقى المياه من الأمطار المتساقطة على جبال السراة حيث تتجمع في شعاب تجتمع مياهها في وادٍ كبير ، وقد تختلط مياه الأودية المجاورة أثناء الفيضان وبخاصة في المنطقة المنخفضة التي تقع قريباً من شاطئ البحر . ويزيد عدد هذه الأودية على الثلاثين وادياً ولنذكر أهمها من الجنوب إلى الشمال .

وادي حرص : وادٍ قصير ، يتلقى المياه من السفوح الغربية لسراة اليمن ، ويسمى باسم بلدة حرص اليمنية التي تقع على مجراه الأعلى . وقد قال ياقوت الحموي : حرص ، بفتحين ، وهو في اللغة الذي أذابه الحزن : وهو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة ، نزله حرص بن خولان بن عمرو بن مالك بن حمير فسمي به ، وهو اليوم بين خولان وهمدان^(١) . وقال الهمداني :

(١) - معجم البلدان .

وتقع على أطراف هذا الوادي عدد من القرى مثل :
صامته ، اللقية على وادي لية ، وققل على وادي مغيلة ، والركوبة
قريباً من التقاء وادي لية ومغيلة ، والخضراء جنوبي صامته .



مصور يوضح أودية جنوبي تهامة عسير

وقد أقيم عليه سد لحجز المياه من أجل الري • وإن لم يكن هو أكبر وادٍ في تهامة إلا أنه من الأودية التي يمكن الاستفادة منها كما أنه يعادل بقية الأودية الكبيرة ويصرف ٤٥ ألف م^٣ من الماء كل عام •

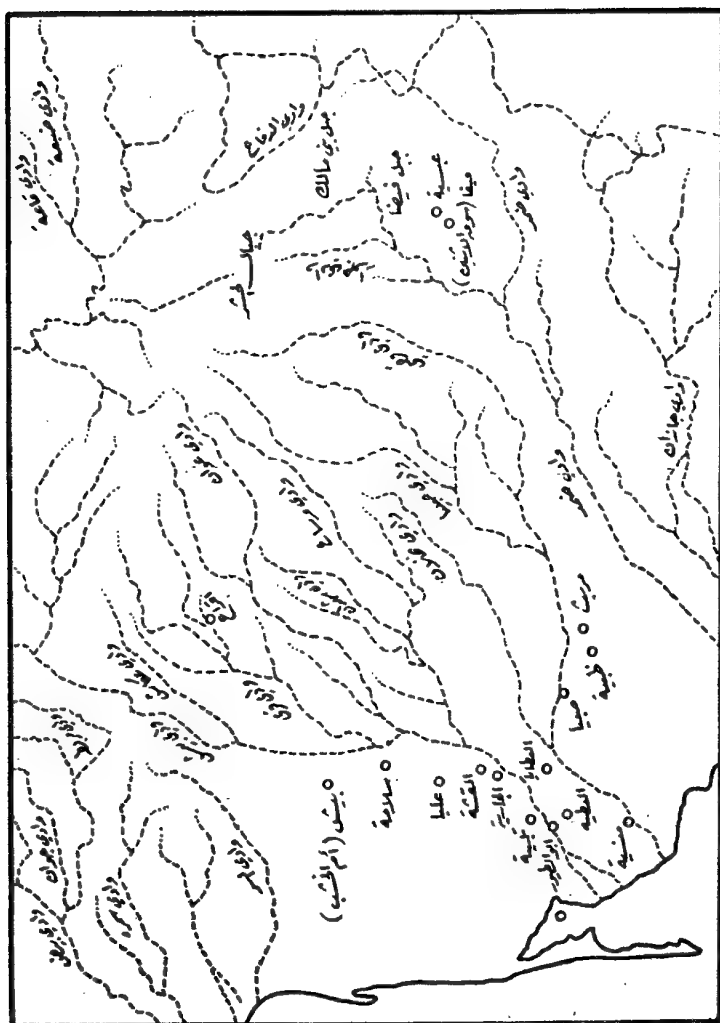
وادي ضمد : ويتلقى من غيلان جبل بني رازح بين غيلان وأشراف رغافة كوادي جازان وتأتيه مياه وادي جورا وكلاهما تنحدر إليهما سيول جبل فيفا وجبال بني مالك وجبال الحشر •

ومن القرى التي تقع في حوضه البواسط وتقع على عدوته الجنوبية •

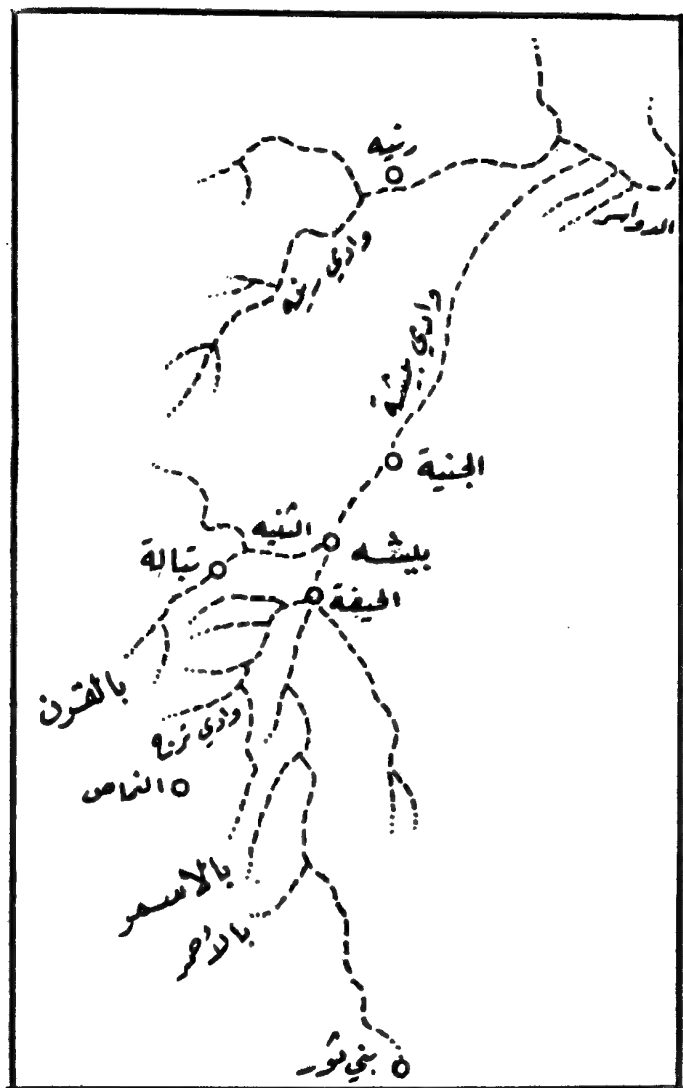
وادي صبيا : وتأتيه مياه وادي قصي من جهة اليسار كما يرفده من جهة اليمين وادي نخلان الذي يجري بين العكوة الشامية من جهة اليمين والعكوة اليمانية من جهة اليسار والعكوتان جلان •

ومن المدن الهامة صبيا التي يحمل الوادي اسمها ، وظيفية التي تقع إلى الجنوب منها •

وادي بيش : وهو أكبر أودية تهامة عسير ، ويشكل نصف دائرة إذ تبدأ شعابه الأولى من جبال الحشر وجبال بني مالك وجبال السراة كوادي الدفاع ووادي الضبعة ووادي القاعة وتتجه نحو الشمال الغربي ثم يأتيه وادي العوراء ووادي راكان



مصور يوضح اودية تهامة عسير الوسطى



مصور وادي بيشة
في مجراه الأوسط والأسفل

الزقوم : يرتفع إلى ٦٠ سم ، وأوراقه صغيرة ، مر المذاق
وفيه أشواك تعلق بأصواف الأغنام أثناء مرورها فوقه كما تلتصق
بشباب الانسان .

الزوان : نبات يشبه نبات القمح ويعرف في بلاد الشام
باسم « زيوان » .

الشوحط : نبات يصل ارتفاعه إلى متر واحد ويوضع فوق
أخشاب السقوف ، بينها وبين الطين .

الحيوان : كانت الحيوانات قديماً أكثر منها الآن إذ أن
كثرة السكان واستعمال آلات الصيد الحديثة وتغير المناخ كل
ذلك أدى إلى قلة الحيوانات وانعدام بعضها ، فقد كانت الأسود
تكثر في المنطقة وتشتهر أسود وادي بيش وأسود وادي عتود، أما
الآن فقد انقرضت وإن كان السكان يتحدثون عن وجود بعضها .
وتوجد الضباع والذئاب والنمور في المناطق القليلة السكان .
وكذلك قلت الطباء والوعول ، وتوجد الأرناب والنيص ومن
الزواحف تكثر الأفاعي والحرباء .

الباب الثاني

الشَّكَاةُ

وهناك من المؤرخين من يعتبر عسير رجلاً ينتمي إلى
 العدنانيين فالهمداني أبو عبد الله محمد بن الحسن المتوفى
 ٣٣٤ هـ يقول في الجزء الأول من كتابه « الإكليل » بعد أن ذكر
 أسماء عشائر من خولان، ولثلا تلتبس بقبائل عنز بن وائل فلنذكر
 نسب عنز بن وائل أو ولد عنز بن وائل على ما خبرني به بعض
 من يصلحهم من جنب ربيعة وإراشة ، فأولد ربيعة ربيعة ومعاوية
 وعامراً وعبد الله وعمرأ وحماراً ، فأولد ربيعة مالكا ، فأولد مالك
 حريمة وتولبا وسلمان ، فأولد عامر بن ربيعة عبد الله ووهبا
 وإياسا ، فأولد عمرو بن ربيعة سلمة وشقيقاً وتيماً وعبد الله ،
 فأولد إراشة بن عنز بن وائل عسيراً وقناناً وجندلة ، فأولد عسير
 مالكا وتيماً فأولد تيم زهيراً وسلمة ومنهم بنو شيبة وعضاضة
 وبنو اللقاح . وهكذا جاء عن النسابة هشام بن محمد بن السائب
 الكلبي مثل ما جاء عن الهمداني في رفع نسب عسير إلى عدنان^(١)
 وذلك حسب الجدول الآتي :

(١) انظر تاريخ عسير في الماضي والحاضر لمؤلفه هاشم بن
 سعيد النعمي .

وكذلك فقد روى المؤرخ حسين بن أحمد بن عبد الله الضمدي من علماء المخلاف السليماني للقرن الثاني عشر الهجري أنه عسير من عدنان ولكنه روى له نسباً غير الذي ذكره الكلبي والهمداني حيث قال : هو عسير بن عبس بن شحارة بن غالب ابن عبد الله بن عك بن عدنان وهو ينقل ذلك عن عدة علماء من علماء الأنساب منهم أبو الحسن أحمد بن محمد الأشاعري في كتابه « التعريف بالأنساب » وكما روى ذلك السيد الإمام محمد بن عبد الله المشهور بأبي غلامه في كتابه « روضة الألباب » والمملك الأشرف الغساني في كتابه المعروف « طرفة الأصحاب » وأبو عبد الله النسابة في كتابه « الموسون بالفلك المشحون في أنساب القبائل والبطون » ثم هناك كتاب « جواهر التيجان في أنساب عدنان وقحطان » .

وهنا لايهمنا كثيراً انتسب عسير إلى عدنان أم قحطان ؟ إذ عندما جاءت القبائل اليمانية إلى المنطقة كانت تقيم فيها قبائل تنتمي إلى عك بن عدنان وحدث قتال بين الطرفين وإذا كانت قد انتصرت اليمانية على العدنانية إلا أن الثانية لم تغادر أماكنها نهائياً ولا زالت من مواطنها تماماً وإنما اختلطت مع الزمن بالغالبين عن طريق الحلف والمصاهرة والموالاته ، وغلب على الجميع اسم عسير . وإن كان كثير من الناس من يجب الانتماء للغالب ولهذا انتسبوا إلى الأزدي .

(بنو مسعود) وهؤلاء القبائل الأربع يزعم البعض بأنهم من القبائل العدنانية .

أما قبائل السهول ، فهم كالآتي : أهل المضة ، والفهر ، وآل سليمان . والمساردة من عبدة ، والحباب من سحان ، وأهل قبائل أهل العين وتثليث والأمواه ، فهم من الجحادر من قحطان وقبائلهم كالآتي : آل سعد . آل عاطف . المشاعلة . آل الجمل ويتفرع منهم آل سويدان وآل مسعود وغيرهم (١) .

ورغم ما في هذه البحوث من ملاحظات فإن منطقة عسير اليوم تضم مناطق أوسع من البقعة التي تقيم فيها قبيلة عسير وأشهر القبائل في المنطقة كلها :



(١) رحلات في عسير يحيى ابراهيم الالمعي ص ٤٩ - ٥٠ .

الفصل الثاني

قبيلة عسير

قبيلة عسير حلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، ولكن كثرتها من أزد السراة وفيها عناصر من قحطان وشهران وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئ عن الغلبة والسلطان والمصاهرة والولاء ، وإن ارجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان عظيم نظراً للاختلاط الذي حصل خلال الزمن الطويل في أنساب القبائل وهجراتها وتحالفها ويذكر الهمداني في « صفة الجزيرة العربية » أن قبيلة عسير يمانية تنزرت •

وأهل عسير أشد العرب نفرة من الأجانب ، وأبعد العرب عن المدنية • كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض ، ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من أولئك الأعراب الذين يسلكون مسلك الأقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز وذلك كما يقول الريحاني في كتابه « نجد وملحقاته » •

وعمير أربعة قبائل كبرى هم « بنو مغيد » و « علكم »

امناصر ، امقضية بدلاً من ألمعي ، والناصر ، والقضية •
ليس من امبر امصيام في امسفر « ليس من البر الصيام في
السفر (١) »

قلب الكاف شيئاً وبخاصة لمخاطبة الأنثى فيقولون :
ما حالش وحال أبوش ؟ ويقصدون كيف حالك وحال أبوك ؟ •
ويستعملون كلمة « ثم » بدلاً من « هنالك » بشكل
طبيعي •

كما يستعملون الجمل الاعتراضية ومعظمها دعائية
للمخاطب •

(١) حديث شريف رواه كعب بن عاصم الأشعري ، قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من امبر
امصيام في امسفر » مسند الإمام أحمد ٥/٣٤ •

الفصل الثالث

رجال ألمع

وهم أكبر القبائل في تهامة ، وأكثرها عدداً إذ يبلغون مائة ألف أو يزيدون ، وهم في تهامة كعسير في السراة ، وتقع بلادهم في الجهة الغربية من منطقة عسير يحدها من الشمال منطقة محایل ومن الجنوب بلاد بني شعبة وهي بلاد جبلية غالباً ، ويقسمون إلى قسمين :

ألمع الشام : أو ألمع الشمال ويقدرّون بثلاث العدد الكلي كما لا تزيد مساحة منازلهم عن هذه النسبة ومركزهم بلد « الشعين » وفيها الدوائر الحكومية .

وألمع اليمن أو ألمع الجنوب وهم الثلاثان وكذا تشمل مساحة بلادهم ، وأهم قراهم بلدة « رجال » وقد كانت هذه في أيام خلت مركز المنطقة ، وهي أكبر من قرينتها « الشعين » بخمسة أضعاف على الأقل ، وإن كان لا تتقال مركز المنطقة إلى « الشعين » أثر واضح في اتساعها ونموها .

ولطبيعة الأرض في هذا التقسيم شكل بارز يتمثل في عقبة « رز » التي تقع بين المدينتين فمن ينظر من ذروتها باتجاه الشمال

بنو توعة : وتقع منازلهم جنوبي محايل وحاضرتها القاعد .
قبائل المنحجة : ويقيم أفرادها على وادي عسلان ، وهم
من البدو . ويتبع قسم منهم الفحمة ، ويقدر عددهم بأربعين ألفاً .

٣ - قبائل قنا والبحر : ومساكنهم على ضفاف وادي قنا ،
وهم خليط من العرب ، ويقدر عددهم بخمسين ألفاً .

٤ - بنو شعبة : ويقيمون في جنوبي تهامة عسير وحاضرتهم
الدرب وتعرف بدرب بني شعبة . هذا بالإضافة إلى قبائل ثانية
تعيش بين هذه القبائل بعضها لا يزال يعيش بدوياً ، وبعضها
الآخر مستقراً .

وبهذا يكون عدد سكان منطقة عسير أكثر من مليون
وربع المليون وأعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن شيوخ القبائل
كثيراً ما يعطون أرقاماً تزيد عن الحقيقة واعتقادي هذا يعود إلى
الاحصاء الذي جرى في المملكة العربية السعودية عام ١٣٩٤ هـ
والذي دل أن عدد سكان المملكة لا يزيد عن ثلاثة ملايين ونصف
المليون ، وما أعتقد أن سكان منطقة عسير يزيدون عن خمس
سكان المملكة وبهذا أتوقع أن يكون العدد المقبول لسكان المنطقة
هو ثلاثة أرباع المليون .



الباب الثالث
التاريخ

الفصل الاول

بلاد عسير في العصر الإسلامي

كان لقبائل عسير في الجاهلية مركز كبير بين القبائل العربية وقوة يخشى بأسها وبخاصة في وقت كانت قيمة القبائل بقوتها ومركزها بعدد أفرادها ، وقد أضافت مناعة بلادها زيادة إلى جانبها المرهوب ، فقد وضعت الأزد أتاوة على غير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء •

وعندما شاع نور الإسلام في الجزيرة العربية وأصبحت المدينة المنورة مركز انطلاقه ومنطلق اشعاعه على حين بقيت مكة المكرمة تقف في وجهه وتحول دون اتساعه وكان سكانها من قريش قادة الصادين عن دين الله ، وأبطال الواقفين أمامه ، ولهم ما لهم من مركز بين قبائل العرب لما لهم من مهابة وما لمدينتهم من قداسة وكذا كانت الطائف وسكانها من ثقيف ، ولما كانت المدينتان مكة والطائف تقعان بين المدينة وعسير ، فقد حالتا دون وصول الاسلام إلى هذه البقعة وهذا ما يعلل سبب تأخير وصول الإشرقة السماوية إلى هذه المنطقة من أرض العرب •

وسلم يعني لكما قومكما فقوموا إليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع
عن قومكما ، فقاما إليه فاسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ،
فخرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى
قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

تولى الصرد بن عبد الله رضي الله عنه أمر هذا الأقليم ، وكان
أول من وليه بعد ظهور الإسلام وقد بقي عاملاً لرسول الله على
جرش حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في كتاب البداية والنهاية لابن كثير ما يلي :

وأن يؤسس أسرة تتسلم زعامة عسير وإمارتها ، ولم يمض على ذلك سوى عدة سنوات ، واستمرت الزعامة فيها حتى العصر الحديث غير فترات قصيرة كان يقع خلالها خلاف بين أبناء العمومة وفروع الأسرة على من يتسلم الزعامة وفي أيها تكون الإمارة ؟ وهو ما يقع دائماً في الأسر على مدار التاريخ ، وعندها يضعف أمرها وتتنطح إليه غيرها ثم لا يلبث أن يعود إليها . كما يمكن أن يضعف شأنها عندما يقوم عبيدها بحركة على الدولة أو يحارب أميراً آخر مجاوراً له أو منافساً وتكون النتيجة هزيمة أهل عسير أو مقتل قائدهم ، وكذلك لا يلبث بعد مدة أن يرجع الأمر كما كان وأن يرجع الأولاد إلى رئاسة البلاد .

إن الأمير الذي يولد في حضن العز وينشأ في بيت كريم المنبت لا يستطيع أن يكون إلا كذلك وإن حطت به الأيام أو أذلت الظروف إذ لا تلبث أن تحركه أرومته وتدفعه سمعته وأمجاده سلفه أن يعود إلى مكانه الطبيعي فيأتيه الناس مقدرين له حسبته ووضعه الذي هو فيه فإن النفس البشرية لترحم عزيز قوم ذل وتشفق على إنسان حط به القدر ، هذه الرحمة وهذه الشفقة لتجعلان له من وضعه الضعيف مركزاً محترماً وموضعاً لا تُفأ ، وإذا كان هذا العزيز قوي الحجة طلق اللسان استطاع أن يجعل من وضعه الذي هو فيه قوة ومن مطلبه حقاً ومن رغبته عدلاً ، وكثيراً ما كان ينشأ أولاد الأمراء على هذا ويربون على ذلك وعلى الكرم ليكونوا أهلاً لمناصبهم ، إذ لا يرتفع إنسان بخيل ،

فروع قبيلة ربيعة أيضاً وحلفاء شهران، حيث كانت ربيعة قسمين، أحدهما حليف بني مغيد والآخر حليف شهران الذين يتبعون إمارة علي وهم بنو الأزهر بينما يتبع بنو مأجور إمارة صقر وحلفاء لبني مغيد ... فعندما أراد علي أن يتوسع في إمارته لتشمل بني مأجور قتل . واستمرت الإمارة في صقر بن حسان وأولاده من بعده ، بينما انزوى أبناء علي بن ابراهيم في منطقة الشعف وهم الذين يعرفون اليوم باسم آل يزيد الشعف .

ولما ضعفت الدولة العباسية في أواخر عهدها ، وبدأت الدويلات تستقل في المشرق ، وتنفصل في المغرب ، وتنزل في الجنوب ، وكانت بعض هذه الإمارات على مقربة من عسير في الجنوب ، في بلاد اليمن ، لم يجد سكان عسير فائدة في هذا الاستقلال رغم صلاح أرضهم لمثل هذا فبُعدها وصعوبة أرضها ومناعة حصونها وقوة شكيمة أهلها كل ذلك يخولها لتكون مركزاً للتمرد ، ومجالاً للاستقلال ، وحصناً لكل عصيان ، ولكن هذا ليس فيه سوى زيادة الفرقة ، وكثرة الاختلاف ، وتجزئة البلاد لهذا كله أعلنوا الطاعة لمن يلي أمر الحجاز جيرانهم في الشمال خاصة وأنهم في الأصل يتبعون مكة المكرمة، كما توجد في الحجاز الأماكن المقدسة مهوى أفئدتهم وإليها تشد رحالهم .

لقد شملت سلطة الطولونيين عسير عام ٢٥٤ - ٢٩٣ هـ (٨٦٨ - ٩٠٥ م) ثم عاد الأمر للعباسيين قليلاً ٢٩٣ - ٣٣٠ هـ (٩٠٥ - ٩٤١ م) ثم صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى والذي

يفرض سيطرته على الحجاز ، فقد خضعت للاخشيديين مدة ثم
للفاطميين بعد ذلك .

لقد كان سكان عسير يديرون شؤون بلادهم بأنفسهم ،
ويعلمون الطاعة لصاحب النفوذ الكبير مفضلين عدم القتال وعدم
الخوض في دماء المسلمين ، ولكن إذا داهمهم عدو أو حاول
غزوهم خصم وقفوا في وجهه واستفادوا من مناعة بلادهم ووعورة
أرضهم في حربه ورده خاسراً ، فعندما قامت فتنة القرامطة في
الجزيرة العربية ، وغلبوا أكثر أهلها ، ودانت لهم أكثر أجزائها
امتنعت عنهم عسير ، ووقفت في وجههم ، وردتهم على أعقابهم
خاسرين ، وتوقفت مجازر القرامطة وسوء أعمالهم عند أقدم
مرتفعات عسير .

واشتدت شوكة بني زياد في اليمن فتبعوا لهم ، وقوي أمر
الهمدانيين بعد بني زياد فأعلنوا طاعتهم حتى جاء السلاجقة عام
٤٦٣ هـ (١٠٧٠م) فكان لهم بعض النفوذ على الأجزاء الشمالية
من عسير .

وحكم الأيوبيون المنطقة كاملة فكانت عسير من جملة
أملكهم ، وورث بنو رسول في صنعاء الأيوبيين فامتدت سلطتهم
إلى عسير ، ووقع الخلاف بين بني طاهر وبين بني رسول فكانت
عسير تتبع الأقوى ، وتخضع تارة لهؤلاء وأخرى لأولئك حتى
إذا استقر الوضع إلى بني طاهر وحكموا اليمن باسم المماليك
كان نفوذهم يمتد إلى بلاد عسير .

الفصل الثاني

أنكام الضعف

في هذا الوقت تغيرت القوى الدولية وظهرت الصليبية في المشرق فكانت نتيجة ذلك أن تغيرت الأوضاع في هذه المنطقة ولا بد لنا من أن نتحدث بعض الشيء عما حدث .

استطاعت أوروبا كافة أن تدعم الاسبان والبرتغاليين في حروبهم ضد المسلمين في الأندلس حتى تمّ لهم النصر إذ كان المسلمون آنذاك متفرقين في كل جزء دولة وفي كل اقليم سلطان يتناحرون في أغلب الأحيان فاستطاع الاسبان والبرتغاليون أن يطردوا المسلمين من الأندلس ، وأن يدخلوا غرناطة آخر معقل للمسلمين ، وذلك عام ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ، وقاموا يذبحون المسلمين الذين بقوا في الأندلس ويرتكبون بحقهم جرائم تقشعر لها الأبدان — على الرغم من العهد الذي قطعوه لحاكم غرناطة الذي سلم لهم المدينة بموجبه — حتى لم يبق في شبه جزيرة ايبيرية مسلم واحد ، ويمثل أعمالهم أبو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة التي يرثي فيها الأندلس والتي مطلعها :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش انسان

حتى يقول :

وظفلة مثل حسن الشمس إذا طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العالج للمكروه مكرهه والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولم يكتف الا سبان والبرتغاليون بهذا بل أرادوا ملاحقة المسلمين الى المغرب واخراجهم منها وبالفعل فقد استولوا على بعض المراكز على شواطئ البحر الابيض المتوسط في شمالي المغرب مثل مثيلة ووهران وغيرهما، ولا تزال سبتة ومليلة بأيديهم الى الآن، كما استولوا على مراكز على شواطئ المحيط الأطلسي غربي بلاد المغرب ، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا أنها لا تكفي لتحقيق بغيتهم ، لتمكن المسلمين في الداخل ، وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت ببعض حقدهم بدؤوا التخطيط لتحقيقها فرؤوا أن عليهم :

أ - أن يعرفوا طرقاً تجارية جديدة غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون ، وتصلهم هذه الطرق مباشرة بالشرق دون المرور بأرض المسلمين ، وبهذه العملية يفقد المسلمون الأرباح التي يجنونها من التجارة ، وتصبح بلادهم في معزل عن العالم ، ولهذا نرى أن الدول الأوروبية المختلفة أسرع الخطو للمعرفة الجغرافية والتي كان

من نتائجها معرفة أوروبا لطريق جديد هو طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقية ، وأمكن وصول أوروبا إلى الشرق مباشرة ، وإن طال الطريق فإن ذلك ليس له أية أهمية بالنسبة إلى الغاية الموضوعة نصب أعين العالم النصراني . كما كان من نتائج هذا العمل معرفة أميركا التي كانت عن طريق الصدفة في محاولة للوصول إلى الشرق باتجاه الغرب ، وبالفعل فقد أضعفت معرفة أوروبا لرأس الرجاء الصالح إمكانيات البلاد الإسلامية بشكل واسع ، إذ تحولت التجارة العالمية عن المرور عبر أراضيها ، وفقدت الأرباح التي كانت تجنيها من التجارة ، وارتفعت أسعار الحاجيات التي كان ينتجها الشرق ، كما نتج عن ذلك تأخر اقتصادي خرب البلاد وأثر على رفاه السكان ، وأوقف الحركة العمرانية ، كما تأخرت الصناعة التي لم يعد لها أسواق خارجية .

٢ - عند الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين يجب السيطرة على تلك المناطق والاستعداد التام لقتال المسلمين ، وفتح المعركة عليهم من جميع النواحي بعد إحاطتهم إحاطة تامة . كما يجب على الأوروبيين الذين يصلون إلى البلاد المجاورة للمسلمين القيام بمحاولة نشر النصرانية بين السكان وحثهم على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ومن الضروري هناك الاتصال بالنصارى كافة للغرض نفسه ، ويبدأ الاتصال بنصارى الحبشة ، وتقديم العون لهم على قتال المسلمين والاشتراك معهم لتلك الغاية ، وفي الواقع فقد تم هذا الاتصال ، وحثت الحبشة ملوك أوروبا للقيام بحرب صليبية لإزالة الممالك الإسلامية التي كانت في حرب معها في شرقي إفريقية .

وتبنت البرتغال هذه الآراء ، وأرادت تنفيذها بالدراسة والإعداد لها ، وبعد التهيئة وجدت أن أقوى الدول الإسلامية في تلك الفترة غير الدولة العثمانية المتجهة نحو أوروبا ، إنما هي دولة المماليك التي كان مركزها القاهرة والتي تسيطر على شرقي إفريقيا، وتساعد المسلمين في حروبهم مع الأحباش ، وأن هذه الدولة سيصطدمون معها أول ما يصطدمون بصفقتها تسيطر على مراكز في شرقي إفريقيا، لذلك يجب إرسال الجواسيس إليها ليأتوا بالمعلومات العسكرية والبحرية بالدرجة الأولى واللازمة لتكفل لهم النصر عليها، واستفادت من بعض اليهود الذين يجيدون العربية لوجودهم في الأندلس فأرسلتهم إلى مصر ، والتقت هنا أهداف اليهودية مع أهداف الصليبية، وأظهر هؤلاء اليهود الإسلام، وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الجيدة حيث وضعت الأموال تحت تصرفهم ، وبعد مدة استطاع هؤلاء اليهود أن يعرفوا أحوال الجيش المملوكي وأوضاع البلاد الداخلية كما حصلوا على خرائط ومصورات للبحار ومعلومات عن الملاحة، وطريقة التخلص من منطقة الهدوء الإستوائي بقيت لغزاً يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة حيث تهدأ الرياح في المنطقة الاستوائية ولا تتحرك السفن التي تسير بالشرع وهي المعروفة فقط آنذاك ، ولا يمكن التنقل إلا في الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية وفي الخريف جنوباً مع الحركة نفسها . وعندما أخذ اليهود كل ما يريدون انسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال وقدموا ما حصلوا عليه من معلومات إلى الحكومة، وبهذا

ولكن دولة المماليك لم يطل عهدها بعد ذلك ، إذ نظر إليها العثمانيون فوجدوا أنها لم تقو على دفع البرتغاليين الذين إن تقدموا قليلا أثروا على الدولة العثمانية التي تحارب في أوروبا بل وتقف أوروبا كافة في وجهها وبهذا تصبح بين فكي كماشة أوروبا من الغرب والبرتغاليون من الجنوب والروس من الشمال ، هذا إضافة إلى ما أعلنه القائد البرتغالي « البوكرك » الذي خلف « فاسكودي غاما » من أنه يريد انجاز مشروعين من مشروعاته قبل موته وهما :

١ - تحويل مياه نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها ، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك ، ومن المعلوم أن مصر كانت أهم دولة إسلامية وقتذاك من حيث موقعها وعدد سكانها وامتلاكها رقعة كبيرة من الأرض حيث كان يتبعها بلاد الشام وبلاد الحجاز •

٢ - تهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب ، ونش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليء بالآلئ والمجوهرات شأن الفاتيكان ، وسرق رفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين^(١) •

(١) الكشف الجغرافية ص ٢٨ منشورات المكتب الاسلامي
بدمشق ١٣٩٣ هـ •

فكان على العثمانيين أن ينازلوا البرتغاليين قبل كل شيء ويهزموهم وذلك ما تقتضيه الفكرة الإسلامية إذ أن حرب البرتغاليين صليبية واضحة إضافة إلى الناحية العسكرية حتى لا يطوقوا من الجهات كلها، وكان أول عمل من واجبه القيام به هو توحيد ما يمكن من قوة المسلمين ، ولما لم يستجب الماليك ، كان لابد من القضاء عليهم واحتلال أراضيهم ، وهذا ما كان فقد تقدم السلطان العثماني سليم في بلاد الشام وانتصر على الماليك في مرج دابق ، وقتل قانصوه الغوري ثم دخل مصر عام ٩٢٣هـ ، وانتصر أيضاً في الريدانية على أبواب القاهرة ، ثم قتل (طومان باي) خليفة الغوري بعد أن قبض عليه ، وبذلك دالت دولة الماليك ، وأرسل شريف مكة «بركات» ولده « أبو غي » إلى السلطان وهو في مصر ، فسلمه مفاتيح الحرمين الشريفين اعترافاً بالطاعة والولاء ، فأقره على إمرة مكة ، وعهد إليه بقتل حسين الكردي حاكم جدة من قبل الماليك ، وبالفعل فقد قتل الكردي غرقاً في البحر على الرغم من استسلامه ، وفر عدد من الماليك الجراكسة إلى اليمن ، واجتمعوا حول الأمير برسباي في زبيد ، وكان قد قوي أمره هناك ، وأراد امتلاك اليمن ، فقتل عامر بن عبد الوهاب وأخاه عبد الملك وأكثر الأمراء الطاهريين في يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخرة ٩٢٣هـ . إلا أن أمر برسباي قد انتهى إذ هاجمته جماعة من العربان وهو في طريقه من صنعاء إلى زبيد ، وقتلته ، وتولى أمر اليمن بعده الأمير اسكندر الذي أتاه أمر من السلطان العثماني سليم عن طريق نائبه في مصر « خير بك » بأن

يكون والياً على اليمن من قبل العثمانيين ، فامتثل ، وهكذا خضعت المنطقة إلى حكم بني عثمان ، إلا أن هذا الخضوع كان إسمياً ، إذ بقي الأمراء في تناحر وخلاف يعتصم بعضهم في حصون منطقتهم ينازل الولاة ، أو يعلن العصيان ويقاتل الجوار .

وكان البرتغاليون قد استولوا على بلاد الهند ، وعجز أهلها عن مقاومتهم . ودفع ضررهم ومنع إلحاق الأذى بالمسلمين ، حتى أنهم غدروا بالسلطان بهادرشاه صاحب كوجرات فقتلوه غدراً ، فاستنجد عند ذلك أهل الهند بالسلطان سليمان القانوني الذي طارت شهرته في الآفاق لما قام به من فتوحات في أوروبا وانتصارات على أعدائه ، فتحركت فيه حمية الاسلام فأرسل لهم نجدة بحرية بقيادة سليمان باشا ، تحرك هذا القائد بأسطوله يريد الهند ، وفي طريقه عرّج على عدن ، وقتل غدراً أميرها عامر بن داود من بني طاهر ، فأعاظ تصرفه هذا الناس ، ووصلت أخبار عمله هذا وأضرابه إلى مختلف المناطق حيث كان سفاكاً للدماء محباً للتفرد بالسلطة في كل مكان يحل فيه فلما وصل إلى الهند خافه المسلمون فيها لما سمعوه عنه وأرادوا التخلص منه ، وأظهروا له اتفاقهم مع البرتغاليين بكتب مزورة وصلته ، فقرر مغادرة الهند على عجل ، وترك لسرعته أضخم مدافعه فيها وعاد إلى اليمن عام ٩٤٥هـ ، فقد كان كثير الخوف ، جباناً ، خوَّاراً رغم كل مافيه من غلظة وقسوة . ومن اليمن عاد إلى مصر فاستأنبول .

تضايق أهل اليمن من ظلم الولاة العثمانيين ، وخلافهم ، وكثرة استبدالهم التي دعت إلى وجود الفتن ، فاستقل ولاة بما تحت يدهم ، وانفصل حكام في مناطقهم ، ووسطا بعض الطامعين على بعض البقاع ، وهذا ما أشغل الدولة إضافة إلى شغلها الدائم فرغبت في إعادة فتح اليمن وتوطيد نفوذها فيها فأرسلت عام ٩٧٨هـ سنان باشا فأعاد فتح البلاد ونشر الاستقرار ولكن إلى مدة قصيرة من الزمن إذ عادت الأوضاع بعده إلى ما كانت عليه قبله بل ازدادت سوءاً مع زيادة ضعف الدولة العثمانية ، وكثرة حروبها في أوروبا التي تكاثفت في وجهها ، وأعلنتها عليها حرباً صليبية ، ويجب ألا ننسى طبيعة البلاد اليمنية وبعدها عن مركز الدولة وكره السكان لها لما لمسوه من ظلم ولايتها وقسوة أمرائها ، ثم هناك الخلاف العقائدي الموجود بين سكان أهل مرتفعات اليمن الزيديين وبين العثمانيين الذين هم من أهل السنة ، يضاف إلى ذلك ضعف الولاة الذين تولوا أمر اليمن بعد سنان باشا ، كل هذا جعل قبضة العثمانيين تتراخي وتضعف في تلك الأرجاء فتنطح كل في منطقته يريد الاستقلال ، وعزم زعماء على الانفصال ، وحكم كل أمير قبيلته حسب رأيه وهواه ، فعمت الفوضى وكثرت المحن .

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى وكثر الخلاف لابد لنا من أن نذكر حالة المناطق المجاورة لبلاد عسير والزعماء الذين تولوا أمر تلك الجهات أو الذين كانت لهم صلات بالأحداث التي دارت فيها آنذاك والذين لعبوا فيها دورهم .

١ - اليمن

كانت صعدة عاصمة دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ ، وقد استطاع حكامها الاستيلاء على صنعاء عدة مرات ، واستمر أمرهم في المنطقة عدة قرون ، وهم يعودون بنسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب • وزالت دولتهم بعد قيام بني رسول وبني طاهر •

وعندما استولى العثمانيون على اليمن كان بعض الأئمة الزيديين الذين ينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب والذين يعيشون في مرتفعات اليمن على أحسن حال مع الولاة على حين لم يمتزج بعضهم الآخر معهم أبداً ، وظلوا معاكسين لهم حفاظاً على استقلالهم • وتفرّد الامام الطهر من بين هؤلاء بأنه كان هو وأولاده من بعده من أشد من أبدى عداً للولاة العثمانيين وأكثرهم ضراوة في مقاومتهم ، وقد وبدأت هذه المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ ، وقد استطاع عام ٩٧٥ هـ أن يستولي على صنعاء ، وآلت البلاد كلها إلى اضطراب ، وهذا مادعا مجيء سنان باشا - كما ذكرنا آنفاً - • ولكن بعد زوال سنان باشا عن اليمن وحوالي العام ١٠٠٠ هـ ظهر القاسم المنصور بالله بن محمد ، وكان من أعظم الأئمة الزيود ، إذ استطاع أن يجمع حوله رؤساء القبائل وشيوخها كلهم وأن يؤسس حكومة مستقلة في المناطق المرتفعة من اليمن حيث يقيم الزيديون بينما المناطق المجاورة لها من الجهات كلها يسكنها أهل

السنة وهم من الشوافعة ، وقد استطاع القاسم أن يمالئ العثمانيين وأن يعقد معهم اتفاقاً عام ١٠٢٨ هـ يحكم بموجبه المرتفعات ، وقد جدد هذا الاتفاق من بعده ابنه محمد المؤيد . وسيطر الأئمة الزيديون من أسرة القاسم على أكثر أراضي اليمن عام ١٠٤٢ هـ بسبب الخلاف الذي وقع بين الجند العثمانيين حتى إن الوالي العثماني قانصوه باشا الذي تولى أمر اليمن عام ١٠٣٩ هـ اضطر أن يلتجئ إلى الإمام الحسين بن القاسم عام ١٠٤٥ هـ بعد أن حوَّصر في قلعته ، ثم ترك اليمن ، وفرَّ إلى مصر ، وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن واستمرت أسرة القاسم الزيدية تدير شؤون المنطقة . ويعتبر كثير من المؤرخين أن دولة صنعاء الزيدية ليست إلا امتداداً لدولة بني رس في صعدة إذ أن القاسم يعود في نسبه إلى أحد حكام دولة بني رس .

كان الأئمة الزيود يحاولون دائماً مد نفوذهم إلى تهامة وكثيراً ما خضعت لهم وحكمها بعض الأمراء باسمهم ، وفي الوقت نفسه كان أهل عسير يحاولون أحياناً مد نفوذهم إلى تهامة ويجدون عوناً لهم من أهلها الذين يلتقون معهم في المذهب حيث يتبعون مذهب أهل السنة وكلاهما أيضاً من الشوافعة ولذلك كانت تقع الحروب بين الأطراف المتنافرة وتكثر الغارات بينهم .

٢ - الحجاز

حكم بنو الأخضر مكة ونجد منذ عام ٢٥١ هـ واستمر حكمهم حتى عام ٣٥٠ هـ - وقد دالت دولتهم بفتنة القرامطة ، وهم من أحفاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب .

وجاء إلى حكم الحجاز بعد فتنة القرامطة آل موسى حيث استمروا في مكة والمدينة حتى عام ٤٥٣ هـ ، إذ خلفهم بنو هاشم « بنو فليته » وهم من أحفاد الإمام علي أيضا ، ودام حكمهم ٤٦٠ - ٥٩٨ هـ ، إذ جاء أمير ينبع أبو عزيز قتادة ، وحكم مكة ، وهو من نسل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب أيضا ، ودان له القسم الغربي من بلاد اليمن ، ومن بعده حكمت أسرته الحجاز واستمر أمرها حتى عام ١٣٤٢ هـ ، وكان آخر أفرادها الشريف الحسين بن علي وابنه علي ، وكان هؤلاء يعرفون باسم الأشراف ، لانتمائهم الذي ذكرناه .

كان أمراء الحجاز جميعاً يتبعون السلطة القوية سواء في بغداد أيام قوة الدولة العباسية أم في مصر أثناء حكم الدويلات وعندما وصل السلطان العثماني سليم إلى مصر فاتحاً أرسل شريف مكة من أسرة قتادة وهو الشريف « بركات » ابنه « أبو غي » إليه ، فأقره السلطان على الشرافة ، وأصبح الشرفاء يرتبطون بالدولة العثمانية عن طريق ولايتها في مصر .

كانت سلطة أشراف مكة تمتد إلى عسير ، أو يستعلي أمراؤها عليهم ، أو يختلفون عليها مع أئمة صنعاء ، أو على مناطق تهامة في

أوقات أخرى ، أو عندما يريد كل مدّ نفوذه على ما جاوره من أرض ، وأحياناً كثيرة يختلف أبناء الأسرة الواحدة على الشرافة ويقع بينهم القتال ، كما أن الأشراف كانوا يلجؤون إلى عسير لطلب النجدة ، أو اللجوء إليها •

ولموقع عسير استراتيجية جغرافية هامة سواء بالنسبة لليمن أم بالنسبة إلى الحجاز فهو بمثابة جسر قوي تتحطم دونه مطامع ولاية اليمن في الحجاز ، وولاية الحجاز في اليمن ، لأن اجتيازه إلى إحدى المنطقتين ليس بالأمر السهل بسبب كثافة سكانه ، ووعورة مسالكه ، وشدة بأس أهله ، وشجاعتهم وتفانيهم في الذود عن حياض بلادهم ووقوفهم في وجه الغزاة متماسكين ببسالة وصمود وأتفه وحمية نادرة • لذلك نجد غزاة الحجاز لليمن يتعدون عن سلوك طريق عسير متخذين طريق الساحل ممراً آمناً لسهولته ولأن مسالكه واضحة لا غناء فيها ولا مشقة وهذا كان طريق الجراكسة والعثمانيين ولهذا أصبحت عسير في مأمن من الطامعين لوقوعها بين أطراف اليمن وأطراف الحجاز طيلة مدة ليست بالقصيرة من الزمن بالنسبة إلى تاريخ عسير السياسي ، ونجد الحروب تشتد بين معظم تلك القبائل التي يحتضنها الحجاز شمالاً ونجد شرقاً واليمن جنوباً بين وقت وآخر وتلجأ إلى الاستعانة بأحلافها وحلفائها على بعضها بعضاً في أغلب الأدوار التي مرت بها هذه المنطقة فهي أشبه ما تكون منزوية على نفسها لا تطمع في التوسع ولا تسمح لأحد بالتدخل في شؤونها •

٣ - تهامة

تهامة: هي المناطق الساحلية والسفوح الغربية لجبال السروات يقطنها - كما ذكرنا - أهل السنة وكلهم من الشوافعة تقريباً . وقد خضعت هذه المنطقة لحكم أسر محلية كانت تدير شؤون إمارتها باسم الحكومات القوية التي كانت تسيطر على المنطقة سماء انتي كانت في مصر أم التي تقوم في بلاد اليمن وأحياناً قليلة كان نفوذ أشراف مكة يصل إلى أرضهم أو يستجدون بهم على غيرهم أو بالعكس يستعينون بغيرهم عليهم ، ومن هذه الأسر :

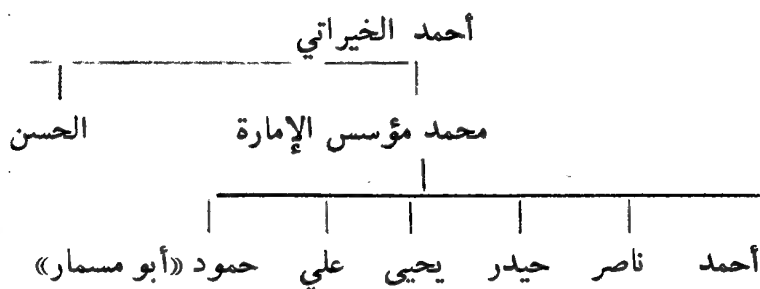
أسرة الحكمي: التي أسسها سليمان بن طرف الحكمي والتي دامت حتى ٣٩٣ هـ .

الأسرة السليمانية : التي أسسها سليمان بن داود الذي استولى على المنطقة بمساعدة يحيى بن الحسن الهادي . وكانت تحكم باسم آل زياد في زيد . ثم كان نفوذ بني نجاح والصليحيين والمهديين وغيرهم من دول اليمن .

ومن الأسر الأخرى آل القطبي والذروات والخواجيون . وأخيراً جاء آل الخيرات إلى زعامة المنطقة، وقد أسس إمارتهم محمد بن أحمد الخيراتي وتولى الإمارة من بعده أبنائه ، فوقعوا في خلاف كبير مع بعضهم بعضاً منذ وفاته ، فكانوا ضد بعضهم بعضاً بجنود مرتزقة من قبائل اليام في نجران ، أو يستجدون بإمام صنعاء ، وقد عمت الفوضى المنطقة وساد الاضطراب حتى

انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب بين أهل تهامة ، ووصل إلى
الإمارة آنذاك حمود بن محمد وهو الذي عرف بأبي مسمار .

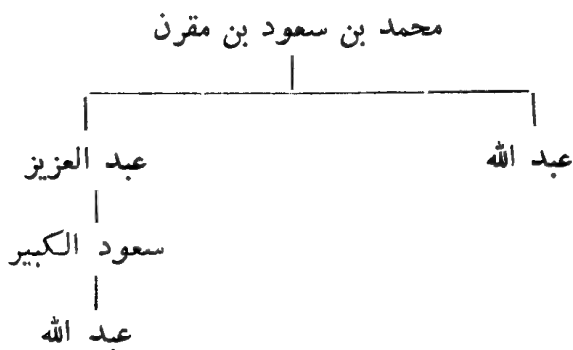
آل الخيرات : وهم فرع من أشراف مكة انتقلوا إلى المنطقة
لما حصل خلاف بين الأسرة من أجل الحكم .



٤ - نجد

كانت نجد تحكم بواسطة أمراء محليين في كل بلدة أمير
وعلى رأس كل قبيلة شيخ ، ويخضع الجميع إسمياً لسلطة
العثمانيين . وقد عمت المنطقة الفوضى وسادها النزاع بين
الجميع فالحروب دائمة والخلافات قائمة واستمر ذلك الوضع
حتى كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي وجدت
العناء الكثير من قبل السكان إلى أن تقبلها حاكم بلدة الدرعية
محمد بن سعود ، وعمل على نشرها فعمت وذاع صيتها وكانت
لها دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى التي أسسها محمد بن

سعود وتولى أمرها أبنائه من بعده ، وقد امتد نفوذها إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة باستثناء مناطق قليلة في مرتفعات اليمن وحضرموت وعمان •



٥ - عسير

وكانت الكلمة الأولى في مرتفعات عسير تعود إلى أمراء من آل يزيد إلى أن نشب بينهم خلاف على الزعامة فانزوى قسم منهم في الشعف وبقي الفرع الآخر في منطقة أبها يدير شؤون قبيلته باسم أشراف الحجاز ، وأحياناً ينتفض بعض الأمراء على الأشراف ، ويمد سطوته إلى بعض جهات تهامة ، وربما وصلت سيطرة أهل اليمن إلى مرتفعاتهم ، ومن هذا الفرع تنشأ أسرة آل عايض وتحكم المنطقة كاملة • واستمر وضع عسير على هذه الحالة حتى كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد ، وكانت الدولة السعودية في الدرعية •

الفصل الثالث

العصور الحديثة

في هذا الوقت الذي عمت فيه الفوضى في أرجاء الجزيرة العربية ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية في نجد وبدأ نفوذها يمتد ويتسع حتى وصل إلى الحجاز ، وكان شريف مكة آنذاك أحمد بن سعيد ، وكان يكره العثمانيين بسبب واليهم «محمد أبو الذهب» الذي كان قد عزله عن شرافة مكة وولى مكانه حسين بركات ، إلا أن أحمد هذا قد قام على حسين وقتله ، وتمسك لنفسه بالشرافة فالتقى مع السعوديين على كره العثمانيين فسمح لأهل نجد بالحج عام ١١٨٣ هـ ، وكانوا قبل ذلك قد منعوا بسبب الفكرة السلفية التي يحملونها والدعوة التي يتبنونها وبعد أعوام ثلاثة ثار الأشراف في مكة على أحمد بن سعيد وعزلوه وولوا مكانه الشريف سرور بن مساعد الذي استمر شريفاً على مكة ١١٨٦ - ١٢٠٢ هـ لم يخاصم أثناء هذه المدة كلها السعوديين مما جعل دعوتهم تنتشر بين رجالات بعض القبائل ، أو يقبل عليها كثير ممن يطمع أن يكون له دور في المستقبل فإن هناك إشارات تدل على نجاح الدعوة أو أن يكون لها دور بارز مع الأيام . وتوفي سرور بن مساعد عام ١٢٠٢ هـ فخلفه في الشرافة أخوه

وفي عام ١٢١٠ هـ دخلت قحطان وشهران في طاعة ابن سعود،
وامتنعت على الأمير محمد بن أحمد الذي توجه لإعادتها إلى
طاعته وحدثت معارك طاحنة في سبيل ذلك ، وتوجه مشيط وغشام
إلى الدرعية لطلب النجدة ، وكان محمد بن عامر وأخوه عبد
الوهاب هناك ، وفي العام نفسه عاد من الدرعية علي بن الحسين
الحفظي وعبد القادر بن أحمد .

وفي عام ١٢١١ هـ وجه أمير عسير لمحاربة شهران جيشاً
بقيادة مفرح بن أحمد بن عبد الله المغيمي إلا أن هذا الجيش قد
لقي الهزيمة .

وفي عام ١٢١٤ هـ رجع محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب
ومشيط وغشام إلى بلدانهم واجتمعوا لمحاربة الأمير محمد بن
أحمد في عسير إلا أنهم لم يتمكنوا منه . . . فرجع محمد بن عامر
وأخوه عبد الوهاب إلى الدرعية لطلب النجدة منها .

وفي عام ١٢١٥ هـ جاءت جيوش ابن سعود مع شهران
وقحطان وبيشة إلى عسير وقتلت الأمير محمد بن أحمد ودخلت
المنطقة في طاعة الدرعية ، وأصبح محمد بن عامر أميراً على عسير
من قبل آل سعود . وقد رأينا كيف انتقلت الإمارة بعد ذلك إلى
أخيه عبد الوهاب (١) .

دخل عبد الوهاب في حروب مع غالب بن مساعد شريف

(١) ص ١٤٨ - ١٤٩ .

أبي عريش الذي سار على رأس قوة إلى منطقة الجعافرة حيث يقيم أحمد بن حسين الفلقي فانتصر عليهم ، وهذا مادعا الدرعية إلى أن ترسل سرية بقيادة حزام بن عامر العجماني إلى المنطقة وعندما وصلت انضم إليها كل من عرار بن شار في بني شعبة والفلقي إلا أن الصلح قد تم بين الفريقين على أن يقوم آل الخيرات بالدعوة في منطقتهم ، فعاد حزام من حيث أتى ، ثم تنازل علي بن حيدر عن الامارة لعمه حمود الذي عرف باسم « أبو مسمار » ، ووافق امام صنعاء الذي يرتبطون به على هذا التنازل رغم أنهم وعدوا بالدعوة إلى السلفية في منطقتهم أمام سرية حزام، ومعنى ذلك ارتباطهم بالدرعية إلا أن الواقع أنهم لا يزالون مرتبطين بإمام صنعاء . وحدث خلاف بين الفلقي وأهل المنطقة الذين استنجدوا بأمير أبي عريش حمود أبي مسمار فأمدهم بسرية رفض أمير صبيا الاشتراك فيها فهزم الفلقي ، وجاء عرار بن شار لمساعدة الفلقي إلا أنه لم يحدث قتال لتوسط أمير صبيا منصور بن ناصر، وعادت سرية حمود أبي مسمار إلى أبي عريش أما عرار فقد تقدم إلى صبيا واتفق مع أميرها منصور الذي كان على خلاف مع عمه حمود أبي مسمار ، وتعاهدا على العمل للدعوة السلفية .

غضب حمود أبو مسمار على ابن أخيه منصور ، وسار بقوة انتصرت على عرار والفلقي ، وسار من طرف آخر حزام بن عامر وزبران القحطاني واتصلوا بعرار والفلقي ومنصور وكونوا جبهة واحدة ضد حمود أبي مسمار إلا أنه انتصر عليهم

منصور بن ناصر وأمير بني شعبة عرار بن شار بالنفير مع عبد الوهاب إلى الحجاز لقتال شريف مكة وانطلق المقاتلون وتأخر عرار ، فوقع شيء في نفس عبد الوهاب ، فوبخ قائد حملة عرار أخاه عيسى بن شار وعاقب بني شعبة فوقع الخلاف بين عرار وعبد الوهاب

استنجد عرار بحمود أبي مسمار واستمال بعض رجالات ألمع وتقدم نحو بلادهم واحتلها ، وطلب وفداً من الدرعية لفصل النزاع

تقدم عبد الوهاب بحملة وصلت إلى دزب بني شعبة واحتلته وعاد إلى عسير ... ووصل وفد الدرعية وطلب مسير حمود ومعه عرار ، وأمير صبيا منصور ، وعبد الوهاب إلى الدرعية ولبي الجميع الأمر إلا حمود فقد تململ ووافق على ارسال ابنه ووزيره حسن بن خالد بدلاً منه لانشغاله ...

بدأت المحاكمة في الدرعية واستطاع عبد الوهاب أن يثبت بما لديه من وثائق أن عراراً يشير الفتنة وأن منصوراً وحموداً يساعدانه ..

فأبقى أمير الدرعية عراراً لديه وعفى عن الآخرين ، وتم الاتفاق على أن يكون عمال الخراج في منطقة أبي عريش من قبل الدرعية ، كما أبقى منصور أمير صبيا مرتبطاً بالجهاد مع عبد الوهاب وطلب منه أن يهادن حموداً .

انتصر حمود على إمام اليمن في تهامة ، ولكن بدأت تظهر بعض نواياه تجاه السعوديين ، فوصل وفد برئاسة طامي بن شعيب إلى تهامة فلم يجد عند حمود ما يشير الشكوك لما أظهره لهم ، إلا أن الأمر لا يمكن أن يطول إخفاؤه إذ أبدى لعمال الدرعية الذين يجمعون الخراج في منطقته بعض نواياه ، فوصل ذلك إلى سعود أمير الدرعية الذي طلب من عبد الوهاب غزوه ، وتأهب الطرفان والتقت القوتان في وادي ييش ، وكانت معركة حامية انتصر فيها جيش عبد الوهاب إلا أنه خسر قائده عبد الوهاب عام ١٢٢٤ هـ . وتحصن الشريف حمود في أبي عريش .

تولى أمر عسير بعد عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شعيب يأمر من الدرعية فعين ابن عمه الثاني محمد بن أحمد المتحمي أميراً على صبيا ومنطقة ييش ، وعندما وصل هذا الأمير إلى صبيا جاءه جيش حمود أبي مسمار محاصراً له ، وفي مطلع عام ١٢٢٥ هـ جاء طامي بن شعيب بقوة فكت الحصار عن صبيا ونظم أمر الحامية وعاد إلى مقره في عسير ، بينما كان حمود قد انسحب إلى أبي عريش واعتصم فيها .

جاءت نجدة من اليمن إلى أبي عريش قوامها ألف مقاتل من الإمام أحمد بن المنصور الذي كان على صلة طيبة بالشريف حمود الذي ساعده على اقضاء أبيه المنصور عن الحكم وتسلم الأمر دونه ، وصار حمود يتصرف ببعض الأمور من خلف الإمام الجديد أحمد ، ولعل مساعدة الابن جاءت لأن السعوديين كاتبوا

المنصور يحرضونه على قتال أبي مسمار ، وربما كان يجب ذلك ، ولكنه يخشى إن وقعت الحرب بينه وبين أبي مسمار الذي يحكم أجزاء واسعة من اليمن - حسب رأيه - بينما حسب رأيه أيضاً أن للأشراف تهامة الحجاز فقط - يخشى أن يستغل إمام الدرعية الفرصة ويهاجم اليمن • فلما أعطاه سعود بن عبد العزيز العهد بالآيتعرض لليمن بسوء وحرضه على حرب أبي مسمار فعل واتصر عليه... ولذا حرض ابنه عليه ، فلما ذهب من الحكم ، وجاء أحمد أصبح أبو مسمار يعتمد عليه في حربه ضد السعوديين •

وصدر أمر من الدرعية بنزول عثمان المضايقي من الحجاز وطامي بن شعيب من عسير إلى أبي عريش والتقى القائدان في ميناء الشقيق عام ١٢٢٥ هـ ، وانتهى الأمر بانسحاب الشريف حمود في بربر ، واستولى المهاجمون على ميناء اللحية وجيزان • وعاد كل إلى مقره وعاد طامي بن شعيب بعد ثلاثة أشهر إلى المنطقة ودخل اللحية مرة ثانية •

ولما ضعف مركز الشريف حمود أرسل أربعة رجال من بني عمه ببعض الهدايا إلى سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية وكان يومذاك حاجاً في مكة فأظهروا له الطاعة فغفا عنهم وأيدهم • وربما كان الذي توسط بالصلح يومذاك محمد بن علي الحسني أمير صعدة ، وكان الاتفاق الذي تم نتيجة هذه المصالحة تنازل الشريف حمود عن صبيا والدرب ويش للإمام سعود ، ودفع خراج سنوي

وفي أثناء هذه الأحداث شن محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية هجوماً كاسحاً على الدولة السعودية عام ١٢٢٦ هـ ، إذ أرسل قوة نزلت في ميناء ينبع بقيادة ابنه الشاب طوسون، وتقدمت هذه الحملة نحو الداخل ، فهزمت أمام القوات السعودية بإمرة عبد الله بن سعود . . . وتراجع طوسون إلى ينبع يطلب من أبيه النجدة فأمدّه بحملة كبيرة استطاع بعدها أن يتقدم نحو الداخل وأن يحتل المدينة المنورة بعد حصار دام شهرين وعشرة أيام ، وبعد هذا الانتصار ، مال شريف مكة غالب بن مساعد إلى طوسون فدخل جدة ومكة المكرمة عام ١٢٢٨ هـ ، ثم اتجه إلى الطائف واحتلها، وخرج منها أميرها عثمان المضايقي ملتحقاً بالقوات السعودية ، وعند دخول القوات المصرية الطائف بإمرة الشريف غالب انضم إليها معظم القبائل حتى غامد وزهران .

هاجمت القوات السعودية القوات المصرية وانتصرت عليها وتقدمت نحو الطائف بقيادة عثمان المضايقي الذي استطاع أن يحتل بعض أجزاء الطائف إلا أنه أسر فقبض عليه غالب بن مساعد ، وأرسله إلى تركيا حيث لقي مصرعه .

أمام هذا التقدم الذي أحرزته جيوش محمد علي ، جاء هو بنفسه فوصل جدة ، ومنها انتقل إلى مكة وكان في استقباله الشريف غالب بن مساعد ، ولكن حدث ما لم يتوقع فرغم كل المساعدات التي قدمها الشريف غالب إلى المصريين وقيادته لجيوشهم واستقباله لمحمد علي ، فقد قبض عليه محمد علي وأرسله مع أولاده أسارى

إلى مصر ، ونصب مكانه شريفاً على مكة ابن أخيه يحيى بن سرور . ومن مصر أرسل غالب إلى تركيا حيث بقي محتجزاً هناك حتى وافاه أجله عام ١٢٣١ هـ متأثراً بمرض الطاعون، وجلس محمد علي باشا في مكة يصدر الأوامر إلى جيوشه المتعددة .

طلب من الجيش الأول في المدينة الزحف نحو نجد ، وأمر جيشه الثاني في جنوبي الطائف بالتحرك نحو تربة، وأعطى التعليمات لجيشه الثالث في تهامة أن يسير نحو القنفذة ليحتلها بمساعدة الأسطول في البحر الأحمر ، ليؤدب قبائل عسير وزعيمها طامي ابن شعيب لمناصرتهم السعودية هذا من جهة . ومن جهة ثانية ليشاغلهم عن مساعدة القوات السعودية جنوبي الطائف .

وفي عام ١٢٢٩ هـ توفي أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز مما زاد النشاط لدى القوات المصرية ، ففي تهامة احتل الجيش المصري القنفذة عام ١٢٣٠ هـ ولكن بعد شهرين أغار عليهم طامي ابن شعيب بأهل عسير ، فهزموهم هزيمة منكرة ، ولأذ من سلم منهم بالسفن ، واندحر الجيش إلى جدة ، وغنم طامي بن شعيب المدافع والذخيرة كلها إضافة إلى الخيل ووسائل النقل آنذاك والخيام . وكرر محمد علي المحاولة واحتلت جنوده القنفذة وعاد إليها طامي ، وتكررت هزيمتها على صورة أكبر من الأولى ، وعند ذلك عدّل محمد علي في خطته ، ورأى أن الطريق إلى عسير إنما هو طريق السراة لا طريق تهامة .

مصر مع محمد علي ، ومن هناك بعث إلى استانبول فشهره في الأسواق ثم ضربت عنقه عام ١٢٣٢ هـ .

غادر محمد علي عسير بعد أن ترك فيها حامية كبيرة ، وخضعت له اسماً ، وسار إلى مكة ، ومنها اتجه إلى المدينة ، ولم يطل المكوث فيها حيث وصله خبر مفاده اندلاع ثورة في القاهرة ضده ، ونبأ فرار نابليون بونابرت من منفاه في جزيرة إلبا ، فأراد العودة إلى مصر ، ولكنه كان يخشى إثر عودته انقضاض أهل البلاد على جنده ، ولكن لا بد من السفر ، فعمل على تمكين الوضع ودعّمه ، وعاد إلى مكة المكرمة ، ومنها رجع إلى عسير ، فبلدة محاليل عن طريق عقبة شعار ، فالقنفذة ومنها إلى مصر ، وفي كل هذا كان يرافقه أمير عسير طامي بن شعيب مكبلاً بالحديد .

أما جبهة المدينة المنورة فقد استطاع طوسون بن محمد علي أن يصل إلى بلدة الرسّ في نجد ، وأن يعقد هناك اتفاقاً مع السعوديين ويعود إلى المدينة ولما أخبر والده بالصلح وكان قد وصل إلى مصر طلب منه العودة إلى القاهرة ، فنفذ الأمر ، ولكنه لم يلبث أن مات هناك بعد أشهر قليلة .

نقض محمد علي عهد ابنه طوسون فأرسل حملة جديدة بقيادة ابنه الآخر ابراهيم عام ١٢٣١ هـ واستطاع بعد عامين أن يدخل الدرعية ويهدمها ويقضي على الدولة السعودية الأولى . ولما تمّ لمحمد علي باشا والي مصر احتلال عسير - كما رأينا - بعد معارك دامية ومقاومة شديدة ، تمركزت قوته في

لم يكند محمد علي باشا ينتهي من أمر عسير حتى وصلت
فلول حاميته التي تركها في طبب إلى الحجاز ، فأثار ذلك غضبه ..
وأمر بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تؤدب قبائلها وتنتقم من زعمائها
وذلك في أواخر عام ١٢٣٢ هـ .

سارت قوة محمد علي من الحجاز وقد ضمت في صفوفها
تركاً ومصريين وحجازيين ، تحرك حسني باشا عن طريق بلاد غامد
وزهران وانطلق نحو عسير ، وسار الشريف محمد بن عون عن
طريق ييشة وبلاد شهران باتجاه عسير وتوجه جمعة باشا من
الساحل صوب عسير عن طريق محایل ، ووصلت أصداء هذه
الحملة إلى عسير فاستعد رجال القبائل وتصدوا لها على
حدود رجال الحجر وبلاد ألمع ، وكانت بين الفريقين معارك طاحنة
هزمت على أثرها عسير ، وتراجعت بعد أن أثخت في جيش حسني
باشا قتلاً في موقعتي « مسفرة » و « الحزن » وقد استبسل
فيها الطرفان .

دخل محمد بن عون أبها وتمركز فيها بعد أن احتل بلاد
شهران وبني مالك ، وزحف جمعة باشا إلى بلاد ربيعة ورفيدة ،
وكان جيش حسني باشا قد لاحق أهل عسير حتى « السقا » حيث
اعتصموا فيها ، ومنها لجؤوا إلى الأطوار الغربية بعد معركة كادت
تأتي على الطرفين في موقعتين جرتا شمالي السقا في السوق
والصعيد .

تداول زعماء عسير الرأي في الوسيلة التي يتمكنون فيها من طرد الاتراك وإخراجهم من مواطنهم فقرروا المقاومة ، واستنفر القبائل جميعها من سراتها وتهامتها ، كما رأوا الاستعانة بالشريف حمود أبي مسمار خوفاً من أن ينضم إلى الاتراك ويكون حرباً على عسير مستغلاً الظروف وراكباً طريق مصلحته ، خائفاً من أن يصل إليه هجوم الترك بعد أن أصبحوا يسيطرون على السراة ، وأصبحوا على حدود منطقة نفوذهم ، فقبل أن يسير إليه الترك ينضم إليهم ويعددهم من الهجوم عليه ورأى زعماء عسير أن الاستعانة بالشريف حمود إضعاف لقوته وانهاك للترك في وقت واحد إذ في اشتباك الطرفين مع بعضهما بعضاً مصلحة لأهل عسير الذين يحاربون الترك ، ويواجهون الشريف حمود فالوقائع بينهما لا تكاد تتوقف عندما ينفردان في الميدان . إذ أنه رجل طموح لا يقف به الأمل عند حد ، وكانوا على علم أنه ليس من السهولة إقناعه بالنجدة لعسير وليس من اليسر تلييته طلب المدد بسرعة فهو من الذكاء لدرجة لا تخفى عليه سياسة ولا تنطلي عليه حيلة ، ولا تصلح معه مراوغة ، ومع ذلك أرسلوا إليه حامد بن سليمان وأحمد بن يحيى أبو زوعة شيخى قبيلة علكم لمحدثته وطلب النجدة منه .

قلّب الشريف حمود الأمر فرأى أن يرسل وزيره حسن بن خالد الحازمي على رأس قوة من تهامة خوفاً من مغبة الأمر وتفاقمه إذ وجد أن ترك الفرصة صعب وقد وافته الظروف وجاءه وجهاء

عسير يطلبونه وهو الذي يحلم في حكم عسير ، كما أن السرعة أمر فيه من الخبل الشيء الكثير أو نستطيع أن نقول : إن لعبه قد سال لحكم عسير وهو الذي يطمح به منذ زمن وهذا ما جعله إيجابياً إلى حد أرسل وزيره وطلب منه أن يكون يقظاً وأن يوافيه بمجريات الأمور تبعاً حدثاً وراء حدث .

اطمأن حسني باشا على الأمور في عسير إذ رأى الهدوء مخيماً أو هكذا بدا له إذ كان أولو الأمر في مرحلة التهيئة أو أنه طمأن نفسه لبيتعد عن هذا الجو ، فعاد إلى الحجاز ومعه جمعة باشا ، وقد تركا حامية في طبب ولكنهما ما أن غادرا عسير وعلم بمسيرهما سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحامي حتى انقضا ومن معهما على حامية طبب ففتكوا بها وتمركزوا مكانها ، وشاع الخبر ووصل النبأ إلى محمد علي باشا فأمر بتسيير حملة على رأسها جمعة باشا فلبى الأمر وسار ومعه الأميران منصور بن ناصر آل الخيرات وابن عمه علي بن حيدر المنافسين لعهما الشريف حمود والمنازعين له السلطة ، إلا أن هذه الحملة لم تكد تصل إلى مشارف بلاد رجال ألمع حتى تصدت لها قبائل تهامة ورجال ألمع بقيادة حسن بن خالد فهزمتها وعادت فلولها إلى الحجاز ، فارفعت بذلك معنويات جيش الحازمي ، وعز ذلك على والي الحجاز فأرسل جيشين أحدهما عن طريق الساحل ويقوده جمعة باشا والآخر عن طريق السراة بقيادة سنان آغا .

شعر العسيريون في هذا الوقت بقدرتهم على الصمود
وآنسوا في أنفسهم إمكانية المقاومة كما أنهم خافوا من قوة جيش
أبي عريش فرغبوا الوقعة به ، وأحس قائده حسن بن خالد بتلك
الرغبة ولاحظ بوادر الشرف كتب إلى أميره الشريف حمود
يستحثه بسرعة القدوم إليه بقوة تمكنه من انقاذ الموقف وتعزيز
قوته في السراة لإمكانية السيطرة ، ولم يجد الشريف حمود بداً
من تلبية طلب وزيره فسار على رأس قوة كبيرة وارتقى السراة
عن طريق عقبة ضلع ولم ينتبه أهل عسير إلا وقد تمرکز في أبها .
وكان هذا الخروج متفقاً مع وصول القوة التركية .

رأى العسيريون أن تصطدم القوتان قوة الترك وقوة الشريف
حمود وأيهما انتصرت أصابها الضعف من القتال وانهكت قواها
المعارك وبقيت أدنى من قوة عسير وفضلوا القتال بجانب
الشريف حمود لدعوتهم إياه وشدة الترك وحملاهم المتكررة . . .
فأظهروا للشريف حمود خلاف ما يضمرون وأخفوا عنه مايبيتون
إذ أن من المصلحة تأخير الصدام معه مادام هناك عدو مشترك .
سار الأمير سعيد بن مسلط وحامد بن سليمان ببني مغيد
وعلکم إلى الشرف لصد هجوم جمعة باشا وتوجه محمد بن أحمد
المتحمي بقبائل ربيعة ورفيدة وبني مالك إلى الطلحة وشعار
والملاحة لصد هجوم سنان آغا ورابطت بقية القبائل في طب . . .

تقدم جمعه باشا إلى محایل ومن هناك أرسل حملة بقيادة علي بن حيدر الخيراتي لاحتلال أبي عريش ليضطر أميرها إلى الانسحاب من وجه جمعة باشا ، ويوقعه في مأزق حرج أرسل الأمير علي بن حيدر عيناً أمامه لاستطلاع الأمور ومعرفة الأخبار وأوضاع القوات ولم يلبث أن عاد إليه يحمل خبر ارتقاء عمه الشريف حمود السراة وعدم بقاء سوى قوة قليلة في أبي عريش فأسرع واحتل المدينة ... في حين توجه جمعة باشا إلى السراة .. ومن جهة ثانية واصل سنان آغا زحفه إلى أن احتل بلدة طيب بالرغم من المقاومة الشديدة التي لاقتها قواته إلا أن هذا الاحتلال قد جعل ردّ فعلٍ قوي عند قبائل عسير فتحمست للقتال والتفت حول الشريف حمود وحول زعمائها المتحمي وابن مسلط وهجمت على طيب ، وكتب لها النصر ، وهزمت قوات سنان آغا وحاول النجاة بنفسه فसार ومعه الشريف منصور بن ناصر وعدد قليل من الجند فلاحقتهم حملة من الأسمر في وادي تيه وألقت القبض عليهم جميعاً وقتلتهم ، وهكذا خرج من الساحة سنان آغا والشريف منصور .

بعد هذا النصر وذهاب نشوته في عسير بدأ الحليفان بالأسمر والمختلفان بالتخطيط العمل ليقضي كل منهما على خصمه ، فقد أراد الشريف حمود أن يتخلص من الأمراء محمد بن أحمد المتحمي وسعيد بن مسلط وعلي بن مجثل ، وقد أدرك هؤلاء الثلاثة نواياه فأرادوا أن يتخلصوا منه قبل أن يفتك بهم ، فأرسل إليه سعيد بن

فرأى من الخير له كل الخير أن يداهن أمراء عسير ، ويتودد إليهم
ويلين لهم ولو كان في ذلك شيء من الذلة ويبقى معهم في حرب
خصومهم ٠٠٠٠

في هذا الوقت كان ابراهيم باشا ولد محمد علي باشا والي
مصر قد استطاع دخول الدرعية وتدميرها وذلك في ٨ ذي العقدة
١٢٣٣ هـ (٩ ايلول ١٨١٨) وقضى على الدولة السعودية وتفرغ
بعدها الترك والمصريون ومن والا هم من قبائل الحجاز إلى
عسير ٠٠٠٠ فسارت قوة كبيرة على رأسها خليل باشا والشريف
محمد بن عون وسليمان سنجق ٠٠٠٠٠

سار خليل باشا عن طريق السراة وتبعته قبائل غامد وزهران
ومعظم قبائل رجال الحجر وقد استطاع الوصول إلى شعار ٠
واتجه الشريف محمد بن عون عن طريق بيشة وبلاد شهران حيث
انضمت إليه قبائل بيشة وشهران وقحطان ٠ وخرج سليمان سنجق
من القنفذة إلى بلاد ألمع فدرب بني شعبة وقد انضمت إليه
قبائل تهامة ، وقد أرغمهم على هذا الانضمام ، خروج الأمير علي بن
حيدر من جهته أيضاً ، فلم يكن للقبائل إلا إظهار الخضوع
وابداء الرغبة في المشاركة بالحملة على عسير ٠

أخافت هذه الجموع أهل عسير إلا أنه لا بدّ من المقاومة
ومن سلك الطريق الصعب لا بد من اتمام السير فيها ٠٠٠٠ فكوّنوا
ثلاث جيّهات دفاعية ٠٠٠٠

الشریف محمد بن عون ومعه أخوه راجح ودوسري بن عبد
الوهاب المتحمي فتتبعهم قوة الأمير سعيد فأدرکت الشریف راجح
ابن عون بالقرب من وادي الجنفور فقتلته ونجا كل من محمد بن
عون ودوسري بن عبد الوهاب المتحمي ، وسار الأول إلى الحجاز
على حين اتجه الثاني نحو نجد •

وبرز سعيد بن مسلط بين وجهاء عسير وعرف بشجاعته
واستبساله في القتال ، وتيامنوا به •

الفصل الرابع

الاستقلال

التفت قبائل عسير - سراة وتهامة - حول الأمير سعيد بن مسلط وكذا قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران وبايعته بالإمارة لما لأسلافه من السلطة والنفوذ على هذه المنطقة في الماضي والحاضر ، فهو من أسرة آل يزيد الأموية التي كانت تتولى إمرة المنطقة على مدار تاريخها تقريباً سوى فترات قصيرة يعصف بها روح الخلاف بين أفرادها على الإمارة والزعامة ، أو تصل قوة قوة كبيرة من خارج المنطقة فتبعد الأسرة عن مركزها ولكن لا يلبث أن يعود الأمر إليها ، وتتسلم المقاليد بزوال السبب ، ولما يتمتع به شخصياً من منزلة رفيعة بين رجالات القبائل وسراة القوم •

وعندما انتشرت دعوة محمد بن عبد الوهاب في المنطقة وعمل لها محمد بن عامر أبو نقطة وأخوه عبد الوهاب كانت الإمارة - كما ذكرنا - بيد محمد بن أحمد من آل يزيد فوقف في وجه الدعوة فكان أن قتل ، بينما وقف أبناء عمومته سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل مع الدعوة وأيدوها وعملا لها ، وكانا موضع ثقة ودين •

ولما كانت الإمارة في عسير تعتمد وتقوم على الدين، لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام ، فإن الأمير يجب أن يتحلى بهذا ويتصف بالاستقامة ، وسعيد من هؤلاء الرجال، إضافة إلى أنه من الأبطال الا فذاذ عرف بالشجاعة واشتهر بالبسالة وامتاز بالدين واتصف بالاستقامة فجدير به أن يتسلم الإمارة وحرى بأهل عسير أن يقدموه على أنفسهم وينصبوه أميراً ويلتفوا حوله •

أرسل الأمير سعيد بن مسلط أخاه علي بن مجثل على رأس قوة إلى بلاد سنحان ووادة ، فأدخلها في طاعة الأمير سعيد •

ووجه ابن خاله الأمير يحيى بن مرعي بقوة إلى بيشة، فأدخلها في طاعة عسير •

وسار بنفسه على رأس قوة فدخل بلاد غامد وزهران • وأصبح الأمير سعيد بن مسلط سيد هذه البلاد كلها • وهكذا انتقل الحكم في عسير من آل المتحمي إلى آل يزيد ، وانتقل المركز من طبب إلى السقا ، وكانت عسير مرتبطة بالدرعية فأصبحت مستقلة ينتقل الحكم بين أبنائها حسب وصية الأمير القائم بالأمر، ورأي أهل الحل والعقد في البلاد، حيث كانت الدولة السعودية في غياب عن مسرح التاريخ لما أصابها بعد دخول إبراهيم باشا الدرعية • ولكن هناك صلات نسب بين آل المتحمي وآل يزيد فأم عائض بن مرعي هي عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي ، وكذلك زوج أم أولاده عبد الله ويحيى وأحمد هي غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي ، ولا غرابة في ذلك فالأسر

مقرها في المدينة واعتصمت فيها ، فحضر عليها الحصار ، ورغم ما أبدته من مقاومة إلا أنها استسلمت في النهاية ، فأُخلى سبيلها وسمح لها بالعودة إلى الحجاز وأثناء عودتها التقت بقوة يقودها محمد بن عون فانضمت إليها وتابعت زحفها نحو عسير حيث التقت مع الأمير سعيد عند عقبة شعار ، فلحققت الهزيمة بالأمير والتجأ إلى الأطوار ، ودخل جيش محمد بن عون طيب وأبها إلا أن جيشه انسحب نتيجة الصلح الذي تم بين الطرفين في ٢٦ شعبان ١٢٣٩ هـ ، واستمر هذا الصلح لنهاية العام ثم نقضه محمد بن عون ، إذ جاءت قواته عن طريق بلاد شهران ، فالتقت بقوات الأمير سعيد وانتهت المعركة بهزيمة الشريف وانتصار العسيريين ثم سادت فترة من الهدوء بين الطرفين ، وفي مطلع عام ١٢٤٢ هـ توفي الأمير سعيد بن مسلط (يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول) وخلفه الأمير علي بن مجثل .

علي بن مجتّل

١٢٤٢ - ١٢٤٩ هـ

تولىّ عليّ بن مجتّل أمر عسير بعد وفاة ابن عمه سعيد بن مسلط ، وهو أخوه لأمه عائشة أخت مرعي بن محمد ، وكان على منزلة رفيعة من الدين والورع ، فكان يقدر العلماء الذين ساعدوه في فصل الخلافات بين الناس ، وكانت مدة إمارته غرة في تاريخ عسير ، إذ استطاع أن يحررها من السيطرة التركية ، وساعده على ذلك الخلافات التي نشأت بين أشراف مكة ، وانشغال محمد علي في حروبه التي شنها ضد الدولة العثمانية ، وحضكته السياسية ، وتجاربه الكثيرة إذ لعب دوراً بارزاً في تاريخ عسير السياسي والعسكري قبل تسلمه الأمر أيام أخيه سعيد وأيام إمارة آل المتحمي ، وكانت تلك الأيام مليئة بالحروب والمعارك التي ما تكاد تنتهي حتى تبدأ ، وعلي بن مجتّل ينتقل من قيادة جيش إلى آخر ، ومن المراقبة في مكان إلى منازل في آخر .

بعد أن سيطر محمد علي باشا والي مصر على الجزيرة العربية قامت الحركات في وجهه ، فقد ثار عليه شريف مكة يحيى بن سرور عام ١٢٤٤ هـ ، فاستصدر محمد علي مرسوماً بعزل الشريف يحيى وتعيين محمد بن عون مكانه شريفاً على مكة .

دخل محمد علي حرباً ضد الدولة العثمانية عام ١٢٤٧ هـ ،

واستطاع « تركشه ييلمز » أن يفتح الحديدية ومخا وزبيد من أرض تهامة باسم أمير عسير ، وكان نتيجة ذلك أن طلب سكان الجزر في البحر الأحمر الخضوع لأمير عسير ، والأخذ بالدعوة السلفية ، ومن هذه الجزر جزر دهلك القريبة من ساحل ارتيرية .

وأرسل محمد علي باشا والي مصر حملة عام ١٢٤٩ هـ للسيطرة على عسير وتهامتها وإعادة نفوذه إليهما إلا أن أهل هاتين المنطقتين قد وقفوا في وجهه ودحروا حملته .

استأثر « تركشه ييلمز » بالمناطق التي فتحها وقام بأعمال غريبة ، فحاربه علي بن مجثل ، ودخل تلك المناطق عام ١٢٤٩ هـ ، وعندما عاد إلى السقا وافته المنية .

وقد قال فيه أحد مؤرخيه « كان هذا الأمير من المخضرمين الذين أدركوا عصر اتصال آل سعود بالبلاد ، وكان متشعباً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شديد الحرص عليها والتمسك بها وحمل الناس عليها ، وكان مع ذلك على شيء من الدهاء وحصافة الرأي ، جمع حوله العلماء وأرباب النفوذ في عسير ، وأغدق عليهم العطاء والصلوات ، ولأسلاف الحفاظية القدح الملقى في إمارته ، فقد كان منهم الدعاة والوعاظ ومنهم القضاة ، فأشبهوا في ذلك آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجانب آل سعود وعندما اشتد به المرض لم تحمله العاطفة على أن يجعل الحكم وراثياً ،

ولكنه جمع أهل الحل والعقد من عسير وأوصى بالامارة إلى
عائض بن مرعي لما توسم فيه من الخصال التي تتوفر فيمن يصلح
لتولي أمور المسلمين فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته وكان ذلك
في أواخر عام ١٢٤٩ هـ (١) » .

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة .

عائض بن مرعي

١٢٤٩ - ١٢٧٣ هـ

يلتقي عائض بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الخامس إضافة إلى كونهما أبناء عمته عائشة بنت محمد [وقد ولد يتيماً في ذي القعدة عام ١٢١٣ هـ وتربى يتيماً مع أخويه خالد ويحيى في بيت ابن عمه محمد بن أحمد بن محمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود عام ١٢١٦ هـ عند دخوله جهات عسير لعدم دخوله في الطاعة لأنه ومن انضم إليه وقف في وجه محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي ، وكان الإمام محمد بن سعود قد جعله أميراً على عسير ، وكان الأمير محمد بن أحمد قد بيت الإيقاع بالأمير محمد بن عامر وحشد له من والاه من قبائل عسير إلا أن الأمير محمد بن عامر قد أدرك نواياه فتوجه إلى الدرعية وطلب من الإمام محمد بن سعود قوة تعزز القبائل الموالية له للقضاء على الأمير محمد بن أحمد ، واستولى الجيش على عسير ، وقتل الأمير محمد بن أحمد ، وانتقل الأمير عائض وأخويه إلى كفالة الأمير سعيد بن مسلط بن مسفر بن عبد الرحمن وهو أخ الأمير علي بن مجثل لأمه وابن عمه ، ويجتمعون مع عائض بن

مرعي في جده الخامس ، وقد تولى الإمارة بالوصاية من علي بن مجتل (١) .

أما ما يقوله الريحاني وحافظ وهبه من أن عائض بن مرعي كان راعياً، فهذا لا يتفق مع الواقع في شيء فهو أولاً سليل الأمراء ، وتربى في كنف الإمارة ، وإضافة إلى هذا كان قائد جند مشهور فقد سار على رأس جيش لنجدة علي بن مجتل وهو في المخلاف السليماني يقاتل أمير أبي عريش ، ثم فرى أن أهل الحل والعقد يابعون عائضاً قبيل وفاة ابن مجتل وهل يبايع عليه القوم راعياً ؟ يقول الزركلي: « كان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل واشتهر بالشجاعة ، ولما وصلت الحملة المصرية إلى عسير عام ١٢٤٩ هـ استبسل في صدها ، وكانت الإمارة فيها لابن عمه علي بن مجتل فجعل له الإمارة من بعده وتوفي ابن مجتل في شوال من السنة نفسها » .

وقال النعمي « كان عائض من أنبل رجال عسير ذكاء وشجاعة ، وبايعه العسيريون بالإمارة في شهر شوال ١٢٤٩ هـ على أثر وفاة ابن مجتل وبقي فيها حتى عام ١٢٧٣ هـ حيث توفي وخلفه ابنه محمد » .

وكان أول أمر واجه الأمير الجديد عائض به مرعي اتقاض أمير أبي عريش علي بن حيدر عليه فأرسل له وفداً لأخذ البيعة

(١) المصدر السابق .

من عسير ٠٠٠٠٠ ويظهر أن فشل هذه الحملة إنما كان بسبب الخلاف الذي وقع بين شريف مكة محمد بن عون الذي يريد بسط نفوذه على عسير وبين أحمد باشا سر عسكر الحجاز من قبل محمد علي ٠٠٠٠٠ دعا محمد علي الخصمين إلى مصر بحجة التنسيق ودراسة أمر المنطقة ، وهناك عزل محمد بن عون ، وأثبت أحمد باشا في مكانه ، أما قبائل عسير فقد أرسلت البشري إلى فيصل بن تركي إمام الدولة السعودية تعلمه بالنصر كما بعثت إليه بخمس الغنيمة مع بعض الهدايا تأكيداً للصلة بين عسير ونجد ٠٠٠

فترت الحملات على عسير بعد هذا الذي حدث عام ١٢٥١ هـ فتفرغ الأمير عائض للقيام ببعض الإصلاحات وحفر الآبار ، وفرغ بعض الطلبة للتفقه في الدين في المدرسة الحفظية في بلدة رجال وخصص لهم المراتب •

وغزا بيشة عام ١٢٥٢ هـ ، وأرسل سرية إلى درب بني شعبة لحمايتها من أوباش القبائل الذين عاثوا هناك الفساد •

وسار عام ١٢٥٣ هـ إلى بلاد غامد وزهران وأدخلهما في طاعته ، إلا أن أحمد باشا مندوب محمد علي في الحجاز استرجعهما بعد مدة ، وعندما أراد الأمير عائض العودة إليهما هزم جيشه هزيمة قاسية •

انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥ هـ بعد هزيمتهم في بلاد الشام وخروجهم منها وبناء على اتفاق لندن ، وعاد الأمراء في الجزيرة العربية يوسعون دائرة نفوذهم •

وإن كنت عنها في البعاد فسألي
 ففيها أسود من مغيد^(١) بمرصد
 وفيها ليوث الأزد^(٢) من كل شيعةٍ
 يصالون نار الحرب حرباً لمعتد
 وفيها رئيس عايض^(٣) حول وجهه
 حياض المنايا أصدرت كل مورد
 وفي ربوة الشعبين^(٤) داهية أتت
 عليهم فما أغنى دفاع بعسجد
 ويوم المقضى^(٥) قد تقضت أمورهم
 بفاقرة الظهر التي لم تضمد
 ومن قبل ذا يوم العزيزة^(٦) عزهم
 ذليل بضرب المشرفي المجرد
 كتائب منها صرعوا ثم غودروا
 بأشلائهم قاني الدماء المكند

-
- (١) بنو مغيد : احدى قبائل عسير وأبرزها وحليفة آل يزيد
 (٢) الأزد : قبائل عربية معروفة ينتمي إليها أهل عسير .
 (٣) عايض : هو عائض بن مرعي أمير عسير آنذاك .
 (٤) الشعبين : مركز رجال المع وقد جرت فيها معركة يشير
 إليها الشاعر .
 (٥) المقضى : اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين .
 (٦) العزيزة : بلدة غربي أبها ، وهي بلدة آل لاحق أبو سراح
 الزيدانيين وقد كانوا وزراء آل عائض .

الحوادث المفككة الحلقات ، فهناك الكثير من الحوادث والوقائع التي سمعتها ممن عاصروا أواخر حكمه لم أجد لها ذكراً فيما دون من كتب عن تاريخ عسير وحكامهم ، من ذلك ما سمعته من بعض كبار السن الذين أدركوا حكمه وكان هذا منذ ستين عاماً أن الأمير عائض بن مرعي كان يعزل شيئاً من خمس الغنائم التي يحصل عليها في غزواته، وشيئاً من الزكاة خصوصاً الابل ويجعل لها رعاة يتنقلون بها في مواقع الغيث في انتظار من تستتب له الأمور من آل سعود ليدفعها إليه ، وظلت مدة طويلة بأيدي رعاتها ، وعندما اتبصر على الأتراك والمصريين في حملاتهم المتكررة على عسير ، وحصل عنده كثيراً من الأسلحة والذخيرة والخيول والذهب، أرسل جزءاً كبيراً من الأسلحة والذخيرة والذهب وبعض الجياد مع الإبل إلى الإمام فيصل بن تركي بعد ما استعاد الكثير من مملكة آبائه وأجداده ، وعهد إلى زيد بن شفلوت شيخ بادية عبيدة بإيصالها إليه في الرياض، وبعث معه بشخص من آل الحفطي يحمل رسالة منه إلى الإمام فيصل يزف إليه بشرى الانتصارات التي أحرزها ومعها قصيدة لعلي بن الحسين الحفطي يعدد فيها المواقع التي دارت فيها المعارك والتي كان النصر فيها حليف الأمير عائض ابن مرعي وجنوده^(١) » ومعنى هذا أنه لم يكن حريصاً على الدنيا ، ويحرص على البيعة ...

(١) مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض ج ١١ و ١٢ السنة التاسعة جماديان ١٣٩٥ هـ

أسرته : أمه عائشة بنت عامر بن أحمد المتحمي أخت محمد
ابن عامر أبو نقطة فهي من أسرة الوجاهة في قبيلة ربيعة ورفيدة.
إضافة إلى أبيه الذي تحدثنا عن أصلته إذ أنه سليل الدولة الأموية
وقد خلف من الأولاد :

- علياً ١٢٤٥ هـ
- محمداً ١٢٥١ هـ
- سعيداً ١٢٥٦ هـ
- عبد الرحمن ١٢٦٥ هـ

عائشة
وقد تزوجها فائز بن غرم العسيلي وأنجبت
له ابنة اسمها صالحه تزوجها
الشريف عبد الله بن محمد بن عون
وهي أم أولاده .

صالحه

- وأم هؤلاء جميعاً سرّ بنت مشيط بن سالم أحد وجهاء بني
شهران القبيلة العربية المعروفة .
- كما ولد له سعد ١٢٥٣ هـ
 - ناصر ١٢٥٨ هـ
 - وأمهما زهرا بنت مغشبر بن عرار .
 - كما رزق عبد الله ١٢٥٨ هـ
 - يحيى ١٢٦٣ هـ
 - أحمد ١٢٦٨ هـ

وأمهم غامية بنت محمد بن أحمد المتحمي آخر امراء آل
المتحمي .

وبهذا يكون قد تزوج ثلاثة نساء أنجبن كلهن ، وكان له تسعة أولاد ذكوراً وبناتان •

اصلاحاته :

١- اختط عدة حصون منها : حصن شدا بمدينة أبها ، وحصون السقا ، وريدة ، وحرملة وكان يطلق على الحصون أسماء قبائل لأغراض سياسية واقتصادية تدل على ذكاء متقد •

٢- أقام عدة مساجد منها : في السقا ، وريدة ، وأبها •

٣- أصلح عدة مناطق زراعية ، وأنشأ البساتين في وادي أبها ، ومن المزارع ما هو في وادي ييش •

٤- أنشأ مدرسة علمية تدرس مبادئ الفقه والتوحيد والتفسير والحديث •

٥- حفر الآبار في وادي أبها ، والفتيحة ، والسقا ، وريدة ، وحرملة ، ومسلية •

٦- اختط في بيشة في موقع يسمى القاع قلعة وجعلها رباطاً لمقاتلة بيشة • كما اختط أخرى في جاش من وادي تثليث لمقاتلة قبائل قحطان وتثليث • وثالثة في البرك ، ورابعة في بلاد شريف لرباط قحطان تستنفر أيام الحرب ، وخامسة في تبالة إحدى أودية بيشة • ولا تزال آثارها باقية •

الأمير محمد بن عائض

١٢٧٣ - ١٢٨٩ هـ

رغم أن علياً كان أكبر أولاد الأمير عائض إلا أنه كان ينوي أن يبايع سعداً ثالث أبنائه إلا أن محمداً كان أقواهم ويده شيء من السلطة حيث قاد الحملات ... ولم تكن الرغبة هي وحدها الكافية للبيعة وأخذ الطاعة وإنما لا بدّ من موافقة أهل الحل والعقد وقد دعا الأمير عائض في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الرأي لاختيار الأمير من بعده ويظهر أنهم خافوا محمداً ، أو خشوا سطوته ، كما حذروا أن يطلب الأمر وتنقسم البلاد في وقت هم بأشد الحاجة إلى الاتفاق ووحدّة الكلمة لذلك فقد رشجوا للأمير ابنه محمداً ، وما كان له إلا أن يستجيب خاصة وأنه يشعر بدنو أجله واقتراب منيته ، وكان محمد آنذاك يرباط بجيش على حدود الطائف ، وعندما عاد بلغه ما كان من أمر البيعة .

توفي الأمير عائض يوم الأربعاء ٨ رجب ١٢٧٣ هـ وأصبح ابنه محمد أميراً على عسير منذ اليوم التالي وقد أخذ البيعة من إخوته وأقربائه الأدينيين وشيوخ القبائل وعلية القوم وكانت مدة حكم والده الأمير عائض بن مرعي قد وطدت له دعائم الملك

ووسعت له رقعته ، فنعمت في عهده عسير بالخير وعمها الرخاء
والأمن والاستقرار •

كانت الدولة العثمانية أيام الأمير محمد مشغولة بمشكلاتها
الخاصة وماجرته حروب محمد علي وماأفسدته الحركات الداخلية،
وقد وجهت همها للقضاء عليه فجردت الحملة تلو الأخرى إلا أنها
كلها باءت بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير •

وقد استعانت الخديوية والدولة العثمانية بالأمير فيصل بن
تركي ضد ثورة عسير ١٨٦٣ (١٢٨٠ هـ) ، وأرسل الخديوي
إلى فيصل كتاباً ذكر فيه « أنه لا يخفى على حضرتكم ما حل بجهة
اليمن من تمرد بعض الأشقياء وأن درء المفسد مقدم على
جلب المصالح ، وتلك الجهة وإن لم تكن تحت حكومة هذا الطرف
(يعني الخديوية) لكن بالنظر لوصلة الارتباط بالدولة العلية
يجب الاجتهاد من كل طرف بقدر ما يمكن في تأديب من تعدي ..
والمهم الضروري سيرسل من هذا الطرف مأمور مخصوص
وعساكر تقمع هذه الفتنة ومن القديم مؤكد ومثبوت
اتساق حضرتكم لمحبة الجهة المصرية والقيام بقضاء مايلزم لها
من الاشغال وغاية المأمول أن مايلزم إلى العساكر المرسلة
من هذا الطرف من المساعدات من جهة جنابكم سواء كان في تسهيل
أمورهم أو قضاء لوازمهم يشير اجراؤه بوقته ومايرر من هممكم

في هذا المقصد المستحسن (١) «.....» ويبدو أن فيصل لم يقدم أي مساعدات تذكر لأنه كان على علاقة طيبة مع قبائل عسير ومع زعماء المنطقة من آل عائض ، حتى أنه في أحيان كثيرة كان يحكم عسير يرسلون إلى حكام نجد بعض غنائمهم دليلاً على الولاء والطاعة الممتدة عليهم منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود .

وقد جاءت الحملة المتجهة إلى عسير بالفعل إلا أن الحاميات العسيرية المرابطة في القاع ببلاد بيشة قد تصدت لها وأبادتها .

وفي عام ١٢٨٠ هـ تقدم الأمير محمد بجيش نحو مدينة أبي عريش بناء على طلب أهلها الذين ضاقوا ذرعاً بالفتن والخلافات القائمة بين أفراد الأسرة الحاكمة ، كما ضاق الأمير محمد ذرعاً بكثرة مراوغة الشريف الحسن بن محمد وبعدم التزامه بعهوده ومواثيقه فقرر إبعاده نهائياً ، وما وصل الأمير محمد إلى مشارف المدينة حتى استقبله أهلها ودخل المدينة دون قتال أما أميرها الحسن بن محمد فقد لاذ بقصره معتصماً فيه مع من معه ثم انسحب في الليل هارباً ، وهكذا ضم المخلاف السليماني إلى عسير

وفي عام ١٢٨١ هـ جرد العثمانيون في تهامة حملة ضد الحاميات العسيرية في المخلاف السليماني إلا أنها دحرت أمام الحامية العسيرية بإمرة محمد بن مفرح . كما جاءت حملة أخرى من الشمال بقيادة شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون لاحتلال بلاد غامد وزهران (١) الدولة السعودية الثانية - عبد الفتاح أبو عليّة ص ١٥٣ .

وأيضا إلا أنها فشلت أيضاً أمام مقاومة الأمير سعيد بن عائض
وكانت معركة فاصلة تراجع فيها الأتراك وساند الأمير سعيد القوة
في ييشة المرابطة في القاع بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني .

وبعد أن توفي الإمام فيصل بن تركي اختلف أبناؤه من بعده
وقام بعضهم على الآخر وفي عام ١٢٨٣ هـ خرج سعود بن
فيصل مغاضباً لأخيه عبد الله وتوجه إلى الأمير محمد بن عائض
الذي بلغ من القوة مبلغاً كبيراً حتى عرف باسم « محمد الفاتح »
فقدم عليه ، وأقام عنده مدة طالباً منه النصر ضد أخيه ، ولما علم
عبد الله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل
إليه بهدية مع الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن
عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وكتب إليه بأن خروج أخيه
من الرياض من غير سبب يوجب ذلك ، وأن مراده قطعة الرحم
والشقاق ، وكتب إلى أخيه سعود يأمره بالقدوم عليه ، وأنه يعطيه
ماطلب فأبى سعود أن يرجع وقد زود الأمير محمد
الشيخين بهدية قيمة إلى الأمير عبد الله بن فيصل ورسالة يخبره
فيها أن سعود قد طلب المساعدة إلا أننا لم نوافق ، وأشرنا عليه
بالرجوع فلم يوافق . وهذا يدل على مقدار قوة ابن عائض ،
وذكائه في عدم دخوله في الخلافات التي نشأت بين أبناء فيصل .

ولما تحقق للأمير سعود بن فيصل أنه لن يحصل على مساعدة
من ابن عائض خرج من عنده وتوجه إلى نجران حيث حصل هناك
على مايريد من مساعدة .

كان محمد رجل حرب أكثر منه رجل علم وسياسة ، ورجل الحرب تشتد بطشته إن وجد فتنة أو لاحظ فساداً أو فوضى...
أما العلماء الذين رؤوا فرقاً بين أبيه الذي يقرب العلماء ويأخذ برأيهم ونصائحهم ، وبينه هو الذي يريد أن يعتمد على قوة السلاح وسواعد الأبطال ، فصرخوا في وجهه أن انفراج الزاوية بين الخير والشر يتسع إن استمر في خطته وسيره ، وأن المعروف يزوي تدريجياً ، وثار رجال ألمع عام ١٢٨٥ هـ إلا أنه انتصر عليهم بعد أن أرسل إليهم وفداً برئاسة لاحق بن أحمد الزيداني للتوسط إلا أن الوفد قد فشل في مهمته .

وفي عام ١٢٨٨ هـ كانت قوة الأمير محمد بن عائض قد بلغت أوجها، وأطاعه أهل المنطقة جميعاً، والمخلاف السليمانى، وتهامة بأسرها وأصبحت قوته مرهوبة الجانب ، وتحسب له الدولة ألف حساب لاسيما وأن حملاتها كانت تتحطم أمام قوة عسير ولم تجد الطرق السلمية كما لم تجد الطرق العسكرية لذلك قررت غزوه مهما كلف الأمر ، وفي الوقت نفسه فقد كانت الدولة العثمانية تريد أن تستعيد نفوذها في المناطق الخارجة عنها وأن تقوي مركزها بعدما أصابها من الضعف لهذا كله أعدت عدة حملات لهذه الغاية

ترامت الأخبار إلى الأمير محمد من واليه على مخا ، وزيد والحديدة والمخلاف السليمانى محمد بن منفرج أن الأتراك قد

زحفوا على جهته بقوات كثيفة وانضم إليها مرتزقة من اليمن . . .
ثم توالى عليه الأنباء أن الترك قد حاصروا ابن مفرح وحاميته
بغية إجلائهم عن الحديدية بعد أن أجلوهم عن المخا فتوجه
الأمير بقوة حتى وصل إلى الحديدية وفك الحصار عن حاميتها
وأخرج الترك من المخا وتتبع تراجعهم ، وعزم على مواصلة الزحف
لاحتلال صنعاء وطردهم من اليمن بأسره ، إلا أنه ما لبث وهو
يواصل زحفه أن جاءت الأخبار باحتلال بلاد غامد وزهران
ويشة ، وطرد حاميات عسير منها ومواصلة زحفها
إلى أبها فتراجع إلى المخا ومنها إلى الحديدية . . ونشط
الأتراك في ملاحقته بعد معارك دامية ذهب الكثير فيها من
الطرفين قتلاً وبقيت الترك تحتل كل بلد يرتحل عنه الأمير
محمد فدبت الفوضى في صفوف الجيش العسيري وخرج الأمر
من يد الأمير محمد . . . ويظهر أن الجند أثناء هذا قد ارتكبوا
أفعال المنتصرين أو عملوا أعمال المنهزمين الناقمين، وهذا ما كان له
أسوأ الأثر على سمعة الأمير خاصة والعسيرين عامة ، خاصة
وأ أنهم كانوا يسمون عند الدولة العثمانية بالعصاة هذا من
جانب ، ومن جانب آخر فقد نسب للعسيرين ما فعله الترك عند
دخولهم المناطق

وما كاد يصل إلى أطراف أبها حتى فوجئ بطرد أخيه سعيد
ابن غائض من بلاد غامد وزهران ويشة ، وطرد الحامية المتمركزة
في القاع في بلاد يشة بإمرة أحمد بن ضبعان الزيداني . . . ثم

احتلال بلاد شهران من قبل جيش يقوده شريف مكة والسير
للهجوم على أبها من جهة الشرق

وقد نزلت حملة أخرى في القنفذة بقيادة محمد رديف باشا
للتوجه إلى عسير والتمركز في شعار ، وجاءت قوة رابعة نزلت في
الشقيق على أن يكون طريقها إلى عسير والتمركز في جبل تهلل ،
وطرد والي تهامة من قبل الأمير محمد بن عائض لاحق بن أحمد
أبو سراح الزيداني

وصلت حملة القنفذة في ٢٠ شوال إلى المدينة وتقدمت إلى
حلي بن يعقوب واستعد رجال ألمع لمقاومة خصومهم في
أول بلادهم ، وتقدم الترك إلى محاليل فاحتلوها ، ومنها راسلوا
الأمير محمد بن عائض في الطاعة والاستسلام أو القتال ثم
سار محمد رديف فالتقى برجال ألمع وهزمهم وارتقى بمن معه من
الترك إلى السراة عن طريق عقبة شعار ، أما أحمد مختار باشا
فقد توغل في أودية تهامة .

وعندما وصل الأمير محمد إلى أبها ، عقد اجتماعاً ضم عليه
القوم وشيوخ القبائل الموالية إليه فتعاهدوا على الحرب والتضحية
والبذل في سبيل كسب النصر مهما كان الثمن وبدؤوا
بالاستعداد لذلك

أما قوة الترك فكانت كبيرة واعتبرت حملاتها هذه انتحارية
إما النصر والقضاء على آل عائض وإما الهزيمة النكراء وترك

عسير إلى الأبد ، لذلك فقد أُرهب الترك القبائل التي رأت أن
لا طاقة لها بالحرب أمام هذه الجموع الجرارة فبدأت تلوذ بالفرار
أو تعتصم في معقلها السرية حتى ترى النتيجة ولمن تكون
الغلبة • وكانت القيادة التركية تضم إليها القبائل التي تسير معها
خوفاً أو طمعاً لترهب خصمها بها وتكسب لها أنصاراً باسم أنها
تقاتل بجنود من عسير هذا على حين كانت قوة آل عائض
آخذة في الضعف بين يوم وآخر ، فإن ما معهم قلة لا ينهض بها
نصر، والذخيرة تتناقص مع الأيام أيضاً، وليس هناك من سند أو
دعم أو جهة يأتي منها السلاح وإنما الاعتماد على النفس
قسم الأمير محمد بن عائض القبائل والجند الذين حوله

إلى أقسام ووجه كل قسم إلى جهة فقد وجه أخاه سعيداً
إلى السقا ومعه بنو مغيد ..

ووجه أخاه سعداً إلى رجال ألمع ومعه عليكم بإمرة حامد بن
سليمان وأبي زوعة ..

ووجه أخاه عبد الله إلى بلاد ابن هشبل مع عدد من بني مالك
بإمرة معدي بن علي وأبي حشر •

ووجه أخاه يحيى إلى صبيا وبني شعبة مع عدد من بني مالك
ومعه أيضاً علي بن سعيد بن مسلط وحمود شيخ بني شعبة •

ووجه عبد الوهاب المتحمي ومحمد بن علي بن مجثل إلى
باحة ربيعة مع قبيلة ربيعة ورفيدة

وأمر أخاه ناصراً بالمرابطة في أبها... ومعه رجال من قحطان
وشهران ورجال الحجز وبيشة وتثليث والعجمان وبقية القبائل
التي معه....

وسار هو على رأس قوة إلى باحة شعار لمقابلة الترك المتجهين
نحوها....

وتم له النصر في المعارك كلها تقريباً...

وصل الأمير محمد بن عائض إلى باحة شعار وتمركز فيها
بانتظار خروج الاتراك منها وإذ به يفاجأ بوصولهم إلى سفوح
جبل تهلل بعد ارتقائهم السراة عن طريق عقبة السماء ، أي أنهم
أصبحوا جنوبي الجيش العسيري...

ذهل العسيريون بوصول العثمانيين إلى جبل تهلل فأسرعوا
إليهم ودار القتال بين الطرفين وكان سجالاتاً بين الفريقين ، ثم
اضطر أمير عسير إلى التراجع إلى قرية السقا فلاحقه العثمانيون
واشتبكوا معه في معركة دامت خمسة أيام انتهت بهزيمة عسير
ودخول الترك السقا . وسار الأمير إلى جهة الحفير غربي السقا
فتبعه المهاجمون ، وأخيراً التجأ إلى قرية ريذة وتحصن فيها وهي
ذات موقع منيع ومركز حصين يصعب احتلاله ويشق على المهاجم
الوصول إليه مهما بلغت قوته .

ومن جهة أخرى فقد هزم الأمير يحيى بن عائض وعلي بن
سعيد بن مسلط وحمود الشعبي أمام الترك في درب بني شعبنة

في مطلع عام ١٢٨٩ هـ ١٢٨٩/١/٤ ، وبعد هذه الهزيمة توالى الهزائم على عسير بعد أن كادت تهزم الترك .. إلا أن قلة السلاح ونقص العتاد ووهن الرجال قد لعب دوره أمام الكثرة من القوات وقوة السلاح وزيادة العتاد

استمال محمد رديف باشا بعض رجالات القبائل وأقاموا معه بالسقا وصار بواسطتهم يرسل الأمير محمداً ويدعوه إلى الطاعة والتسليم ويعطيه الأمان ، وكاد الأمير يركن إلى الباشا لولا سماعه نصيحة بعض من معه بإرسال أخيه سعيد قبل ذلك يستوضح الأمر ويستجلي الخبر ويتيقن من الوضع ، وسار سعيد إلى السقا مركز الباشا وما أن وصل إليها ووقعت عليه عين رديف باشا حتى أمر بإلقائه في السجن مكبلاً بالحديد .

واستمر القتال ، وأعيا حصن ريذة رديف باشا ولم يحصل منه على مبتغاه ، ولم تجده المخادعة السياسية فلجأ إلى المناورة العسكرية ، فأمر قسماً من جنده المرابط في القنفذة أن يسير بإمرة أحمد مختار باشا ويبحر إلى الشقيق ومن هناك يتوجه إلى السراة عن طريق وادي مربة وكان دليل الطريق شيخ خلي بن يعقوب عمر بن عبد الله الذويبي

تحرك أحمد مختار باشا ضمن الخطة المرسومة وتوجه نحو السراة سالكاً وادي مربة وبينما كان الأمير محمد يقاتل الترك على الجهة الغربية إذ طلع عليه جند آخرون من جهة الغرب فأصبح بين نارين واستعر القتال ودامت الاشتباكات العنيفة خمسة أيام وهنت على إثرها قلوب العسيرين وساور الخوف نفوسهم وهم في

مأمنهم ، فخرج من كان في حصن شهران واضطرب من كان في الحصن وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولم تعد تغن قوة الرجال ، ولم يتذكروا ما قطعوا على أنفسهم من عهود ومواثيق إذ خارت القوى عندما ذكرهم أميرهم كأنهم لم يسمعوا

توسط شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون في الأمر وكان ضمن القادة المقاتلين ، وتدخل بين الطرفين واستطاع التوصل إلى اتفاق ، بحيث يطلب الأمير محمد الأمان فيعطاه ، ويسلم البلاد ، وتحفظ له الدولة أملاكه كافة ، ويأخذ وعائلته مرتباً معيناً ، وأصدر السلطان عبد العزيز فرماناً بذلك ، ووصل فرمان إلى الجهات المختصة ومنها القوات العثمانية المتمركزة في السقا وكذا المحاصرة لريدة ، وبناءً عليه أعلن الأمير محمد الاستسلام ، وفتح حصن ريدة للقوات المهاجمة ، وسلم نفسه إلى القائد أحمد مختار باشا .

ولما تمكن الترك من حصن ريدة قبضوا على المستأمنين ، وسيقوا إلى السجن ونزل رديف باشا من السقا إلى ريدة ودخل مجلس القائد أحمد مختار ، فوقعت عينه على الأمير محمد جالساً بجانبه فغضب وكنم أحمد مختار بأنه يريد أن يعدمه ... فأجابه أحمد مختار بأنه الأمان والفرمان ، فلم يرعو أو يتراجع وكان الشرر يتطاير من عينيه وكان الحديث الذي دار بالتركية إلا أن سعداً فهم بعضه وعلم أنه الموت فوثب على محمد رديف بسكين مسمومة كانت معه فطعنه في بطنه وثار كل من في المجلس على بعضهم بعضاً وانتهت المعركة بقتل محمد وسعد وعبد الله أولاد

عائض ومحمد بن علي بن مجثل واثني عشر رجلاً آخر معهم من
أعيان عسير أما بقية أبناء عائض وهم سعيد وعبد الرحمن
وأحمد وعلي ويحيى فقد حملوا إلى استانبول مع ٦٠٠ رجل من
سراة القوم منهم رئيس قضاة عسير الشيخ أحمد بن عبد القادر
الحفظي وعلي بن طامي وناصر بن طامي
•

أما ناصر بن عائض فقد بقي مرابطاً في أبها والتي لم تسقط
بعد بيد الترك •

وأما القائد محمد رديف باشا فقد نقل إلى الشقيق ليجر
إلى تركيا إلا أن منيته قد أدركته وهو في الشقيق فدفن هناك ••
ودمرت بلدة ريذة وأصبحت أثراً بعد عين بعد أن كانت
عروسة في قمتها الشامخة وقصرها المنيف المنيع الذي طالما حطم
كبرياء الجبابرة من الغزاة •

الحكم العثماني

١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ

بعد الاستيلاء على ريذة وقتل الأمير محمد بن عائض خضعت عسير للحكم العثماني ، وأصبحت متصرفية خاصة إلا أن الوضع لم يستقر فيها إذ سادها الاضطراب وكثرت فيها الاتفاضات ، وانعدم فيها الأمن حتى كان كل إنسان يخاف على ماله وعلى أملاكه وأهله وهذا أمر طبيعي فالإسلام بعيد عن الحكم لذا عمت حياة الفوضى ، وأصبحت القوانين تسن حسب المصالح الشخصية ومقتضيات الظروف الخاصة وعندما يأتي الوالي ، يتصرف بالأمر وكأن المنطقة إقطاع له ، فهو مطلق الصلاحية فيها يأمر وينهى ويقطع ويمنع حسب هواه وما تسول له نفسه .

جاءت الدولة العثمانية إلى هذه المناطق كما دخلت إلى غيرها من بلاد الاسلام باسم الاسلام ولحماية أرضه من أعدائه الذين طرّقوا أبوابه وشنوا حرباً على أهله شعواء وحشية وهذا السكان مدة من الزمن لهذا الشعار إلا أنهم لاحظوا أن هذا الكلام شعار لاينطوي على شيء فالإسلام بعيد عن كل عمل اللهم إلا مايتفق ورأي الحاكم فإن وافق فهو الاسلام وإلا فهو الكفر ولقد استمرت زاوية الانحراف بالانفراج والاتساع كلما مضت

الأيام وتقادم العهد على الدولة حتى كان أواخر الدولة فعم الفساد واستشرى البلاء وعندما أرادت الدولة العودة إلى ماقامت عليه اصطدمت بالواقع المرير من سوء السرائر وفساد الضمائر فقاوم الأشرار تلك الخطة وهذه المحاولة فذهبت الدولة قبل تنفيذ المحاولة •

كانت السلطة في عسير للدولة العثمانية بالإسم ، إذ لم يكن أمر الولاية يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والشكنات ، وبعض المدن أحياناً وماعدا ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عائض ومشايخ القبائل لذا فإننا سنتكلم عن السلطة الاسمية تحت عنوان الحكم العثماني وفي الوقت نفسه سنذكر الأمراء الذين كان بيدهم الأمر ويحكمون حكماً فعلياً •

تولى القائد أحمد مختار باشا أمر عسير بعد استيلائه عليها وسار مع الأهالي بمنتهى القسوة والعنف وقد جعل مدينة أبها مركزاً للمتصرفية وتتبعها ستة أقضية هي:

- ١ - بنو شهر ومركزها النماص •
- ٢ - بلاد غامد وتتبعها أيضاً زهران ومركزها رعدان •
- ٣ - رجال ألمع ومقرها الشعبين •
- ٤ - محایل وحاضرتها بلدة محایل •
- ٥ - القنفذة ومركزها ميناء القنفذة •
- ٦ - صبيا ومقرها مدينة صبيا •

وجعل قاعدة عسكرية في كل من السقا وريدة ، واتخذ من

القنفذة ثغراً للمتصرفية ، وتوجه إلى صنعاء فاحتلها دون مقاومة .

وكان الأمير ناصر بن عائض مرابطاً في أبها أثناء دخول الترك إلى بلدة ريدة واستمر يقاوم ثمانية أيام ، ثم انسحب إلى بلاد شهران إلا أنه عاد فدخلها بعد شهرين من احتلال عسير وحصنها بمن التف حوله من القبائل العربية وعجز أحمد مختار عن دخولها فأحاط بها من كل الجهات وشن عليها هجوماً عاماً من ناحية الشرف (١) ومشيع (٢) ورضف (٣) وحصن أسلم (٤) واستمر القتال حتى عام ١٢٩١ هـ حيث شدد الأتراك وطأتهم وتمركزوا برؤوس الجبال المشرفة على أبها ، وصوبوا مدافعهم على المواقع الهامة ، واستمر القصف ليلاً ونهاراً ، فاضطر الأمير ناصر إلى الانسحاب من أبها لنفاد الذخيرة بعد أن وحد قوته على الجهة التي تمركزت فيها القوة التركية القادمة من جهة الشرف ، وقد استطاع أن يخلص بمن معه وكان ذلك في مطلع عام ١٢٩٢ هـ .

وتوالى المتصرفون الأتراك على عسير وكانت أيامهم ضرباً

-
- (١) الشرف : بلدة تطل على تهامة من ناحية جنوبي أبها .
 - (٢) مشيع : إحدى قرى بني جعفر أحلاف بني مفيد وأصلهم من جعفر بن الحارث بن عبيدة وقد نزحوا من وادي تليلث .
 - (٣) رضف : قرية لبني جعفر أيضاً وتقع شمالي أبها .
 - (٤) حصن أسلم : كان في السابق سوقاً تجتمع فيه بنو مفيد وعلكم ، وأسلم هو أسلم بن عمرو بن ثماله الأزدي .

من الفوضى والغارات المتكررة من رجال القبائل على مراكز الدولة ودورياتها وكانت مهماتهم صد المغيرين وبناء المعقل والحصون ليعتصموا بها .

كان المخلاف السليماني تابعاَ لمتصرفية عسير بما في ذلك مدينتي صبيا وجيزان ، وكانت هذه التبعية إسمية خاصة بعد أن قويت شوكة الادريسي في تلك المنطقة — والتي سنتكلم عنها بالتفصيل إن شاء الله — .

الأمير ناصر بن عائض

١٢٨٩ - ١٢٩٥ هـ

يعتبر الأمير ناصر بن عائض أمير عسير بعد قتل أخيه الأمير محمد بن عائض إذ أنه أثناء حصار أخيه محمد في ريذة كان هو مرابطاً في مدينة أبها بقبائل قحطان وشهران وتثليث وبيشة ورجال الحجر لحمايتها من الأتراك ، وقد عرض على أخيه محمد الامتناع في أبها وعدم التحصن في ريذة التي يمكن تطويقها وفوق هذا فليس لها من منفذ إلا من وادي «مربة» فإن احتل الوادي فمعنى ذلك الاستسلام بلاشك بينما يرى الأمير محمد أن الاحتماء في ريذة أفضل لو عورة طرقها وضيق مسالكها وصعوبة مرتقاها ومناعة حصنها إضافة إلى ما فيها من الامكانيات الكثيرة ما يجعل المتحصنين فيها يستخفون بالحصار مهما طالت مدته وأن منفذها الغربي إلى وادي مربة يجعل الأمير ينسحب منها إلى الجهة التي يريد لها إذا اضطر إلى ذلك ، خاصة لوجود قبائل رجال ألمع ذات البأس الشديد والمنعة القوية تحيط بذلك المنفذ

بقي الأمير ناصر مرابطاً في أبها على حين تحصن أخوه الأمير محمد في ريذة وسقطت ريذة واستسلم الأمير محمد وفوجيء ناصر بالصلح فتوجه بقوة من رجاله لقتال من بالسقا

من الترك واحرز الانتصار عليهم وعادوا إلى الاعتصام
بالسقا وركز الأمير ناصر قواته في بعض المناطق القريبة
من أبها إلا أن الترك قد استطاعوا أن يزيلوهم عن مواقعهم ،
وأطبقت القوات التركية على أبها وأخذت المدافع تدكها من الجنوب
والغرب وجرّد الترك حملة على قلعة شمسبان مجتازة
حصن أسلم إلا أن القوات المرابطة في سفوحه لم تمكنها من
الوصول إليه وردتها على أعقابها خاسرة

في هذا الوقت وصلت الأخبار إلى أبها أن الترك قد تركزوا
في بلدة النماص في بلاد رجال الحجر وهي توالي زحفها نحو
أبها فترك رجال الحجر الموجودين في أبها مراكزهم وتوجهوا
إلى بلادهم لصد المعتدين عنها واستطاعوا التخلص من
الحصار وساروا عن طريق وادي مشيع، فالعرين، فبلاد بني مالك
حتى وصلوا إلى النماص، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم وقضوا
على القوة التركية وكانت قبائل غامد وزهران قد تركت
مواقعها من قبل أيضاً للحفاظ على مواطنها من عرب الحجاز
والترك

أما الأمير ناصر فإنه قد رأى عدم الجدوى من مقاتلة
الأتراك فبقي حتى اليوم السابع لدخول الترك لحصن ريده ثم
انسحب إلى بلاد زهران وترك أبها فدخلها الأتراك وبقيت فيها
حامية منهم وانسحب القائد محمد رديف إلى السقا

وعندما وصلت أخبار مجزرة ريذة إلى الأمير ناصر عاد فاحتل
أبها وبقي الاتراك مربطين في السقا ، والتناوش بين الطرفين على
أشده ، وفي إحدى المعارك أصيب الأمير ناصر برصاصة لقي بعدها
ختمه في ١٠ المحرم ١٢٩٥ هـ .

* * *

للأمير عبد الرحمن بن عيَّاض

١٢٩٧ - ١٣٠٥ هـ

كان الأمير عبد الرحمن بن عائض من الرجال الذين ساقهم الترك بعد انتصارهم على الأمير محمد بن عائض في ريده إلى استانبول من آل عائض وآل الحفطي وأعيان ومشايخ عسير . . . فمنهم من قضى نحبه هناك ومنهم من قدرت له الحياة حتى عاد إلى وطنه يشارك في أحداثه ومن هؤلاء الذين رجعوا الأمير عبد الرحمن بن عائض وأخوه سعيد بعفو من السلطان وما أن علم أعيان عسير بقدوم المبعدين حتى اتصلوا بهم وشرحوا لهم الوضع الذي يقاسونه من الترك والحالة التي يكابدونها وعرضوا على الأمير سعيد رغبتهم في بيعته إلا أنه رفض وحذرهم من مغبة قيامهم بأي عمل حربي إلا أنهم لم يقتنعوا برأيه وبايعوا أخاه عبد الرحمن ولم تمض إلا مدة قليلة حتى وجدوا أنفسهم هجوماً لوجه مع الأتراك .

استعد الأمير عبد الرحمن لتأليف قوة من قبائل عسير وقحطان ورجال الحجر ، لقتال الترك وإخراجهم من عسير ، وشن هجوماً على الحامية في شعار وأبادها ، وما أن وصلت أخبار هذه

الأحداث إلى أبها ، وبلغت مسامع متصرف عسير عثمان باشا حتى
جهز حملة نهبت بلاد بني مالك وبالأحمر وبالأسمر عقوبة لهم حيث
اشتركوا في الهجوم على حامية شعار إلا أن قبائل هذه
المناطق قد تصدت لتلك الحملة وتمكنت من دحرها وهزيمتها ،
وبعد هذين الانتصارين نشطت قبائل عسير في تهامة والسراة
لمقاومة الترك وقامت بأعمال حربية عدة بقيادة الأمير عبد الرحمن
كان من أهمها الهجوم على القوات التركية في السقا وتمركزها
مكانها وكان مقر الأمير عبد الرحمن قبل ذلك في شعفة
آل يزيد

أما الأمير سعيد فقد اتجه إلى شهران واعتزل الأمر ، وطلب
من حسين بن مشيط شيخ شهران عدم الاشتراك مع الأمير عبد
الرحمن وكان آل الغمر وآل سرحان قد انضموا إلى قوات عسير
في القتال ضد الترك

وقامت رجال ألمع بطرد الحامية التركية من ميناء الشقيق
بالاشتراك مع بني شعبة وبقيادة حسن بن عبد المتعالي •

وفي أواخر عام ١٢٩٩ هـ استنفر الأمير عبد الرحمن القبائل
الموالية له بقيادة مشايخها وضرب الحصار على مدينة أبها بعد أن
هزم الترك في عدة معارك • واستطاع بعض العسيريين التسلل
إلى داخل المدينة عن طريق الوادي واستمر الحصار مدة شهرين
متتابعين ، وأصيب الأتراك داخلها بمجاعة شديدة ، وكانوا يزولون
أعمالهم ليلاً ، وكادت أبها أن تستسلم لولا وصول نجدة تركية

بقيادة حيدر باشا إلى تهامة كما تمكنت من احتلال بلاد رجال ألمع
وواصلت زحفها نحو أبها وبعد معركة عنيفة في شعار استطاعت
هزيمة القوات العسيرية بقيادة أحمد بن علي الحفظي ، وتابعت
تقدمها نحو أبها ففوت معنويات الحامية التركية المحاصرة فيها...

وفي أواخر عام ١٣٠٠ هـ عززت القوة التركية المراقبة في أبها
بحملة كبيرة جاءت من مكة بقيادة عمر باشا وشريف مكة عبد
الله ... وقد واصلت زحفها عن طريق بلاد غامد وزهران
فاستعدت لها مقاتلة غامد وزهران وبني شهر المشتركة في حصار
أبها وواصلت الحملة السير حتى التقت بهم في بلاد خثعم
وشهران وبالقرن، وعاد الشريف من بداية بلاد رجال الحجر، أما عمر
باشا فقد واصل سيره فاصطدم بقوة رجال الحجر الذين تركوا
أماكنهم في حصار أبها وأسرعوا لملاقاة خصمهم فهزموه واعتصم
ببلدة النماص

وصلت أخبار هزيمة عمر باشا إلى حيدر باشا فشرع بالموقف

الخرج

توسط الأمير سعد بن عائض في الصلح بين الطرفين ،
ونجحت مهمته وتم الصلح في بلدة آل يزيد الشعف ، وفكت
القبائل حصارها لأبها وذلك في مطلع عام ١٣٠١ هـ .

قدر حيدر باشا هذه الوساطة وكتب إلى الباب العالي بذلك
فصدر فرمان بتعيين الأمير سعيد قائمقام على بلاد غامد وزهران
وييشة فسكن الظفير ، وبقي في عمله هذا حتى عام ١٣١٥ هـ ثم

اعتزل العمل وسكن مكة المكرمة في شعب عامر حيث وافته منيته
في أواخر عام ١٣١٦ هـ • وعين بعده ابن أخيه الأمير عائض بن
محمد وبقي في منصبه حتى ثورة أخيه علي بن محمد •

وفي الوقت نفسه فقد عين الأمير عبد الرحمن معاوناً لمتصرف
عسير حيدر باشا وبقي في مركزه حتى جاء أجله عام ١٣٠٥ هـ •

أما الأمير علي بن محمد فقد نزل إلى الحرملة ولم يرض عملاً
حدث من صلح•••••



للأمير علي بن محمد بن عارف

١٣١٨ - ١٣٢٤ هـ

رفض الأمير علي بن محمد الصلح الذي تمّ بين الاتراك وآل عائض ونزل إلى حرملّة مغاضباً ، وفي عام ١٣١٨ هـ قام بثورة ضد الاتراك ، وحاصر مدينة أبها وجاءت نجدة تركية إلى حامية أبها مما حدا بالأمير عائض بن محمد أن يترك عمله كقائم مقام بلاد غامد وزهران وييشة وأن يسير بقوة من هذه القبائل لمساعدة أخيه المحاصر لمدينة أبها وعندما تجدد القتال هزم الأمير علي ابن محمد والقبائل الموالية له .

ثم قام الأمير علي بن محمد بعد مدة بثورة أخرى مستفيداً من سوء الأوضاع الداخلية في عسير والخارجية أيضاً، ففي الداخل لم يكن للولاة الذين تولوا أمر عسير من القوة ما يضبط أمر المنطقة ويجعل الطمأنينة تخيم على ربوعها فانقطاع جبل الأمن والظلم وكثرة الضرائب كلها تساعد على قيام الثورة إضافة إلى الفقر وعدم إمكانية العمل في المزارع أما بالنسبة إلى الأوضاع الخارجية فقد كانت الدولة العثمانية تلهف أنفاسها الأخيرة، وجمعية الاتحاد والترقي تحاول السيطرة على الوضع، وقد انضم إليها معظم رجالات الدولة فاستأنبول في شغل شاغل

بما يجري فيها ٠٠٠٠ ثم هناك ثورة أخرى في اليمن على مقربة
من عسير بقيادة الإمام يحيى حميد الدين وكان هناك اتصال بين
الإمام يحيى حميد الدين والأمير علي بن محمد للعمل معاً من أجل
إخراج الترك .

بدأ الأمير علي الاتصال بزعماء القبائل عام ١٣٢٢ هـ
للاستعداد للقيام باقتفاضة ضد الترك ٠٠٠ وعندما قام بحركته
طوّق مدينة أبها واستمر في حصارها شهرين كاملين ويُس الأتراك
من الخلاص وكادت المدينة تسقط بيد أهلها إلا أن قوة جاءت من
اليمن بقيادة تحسين باشا ٠٠٠٠٠٠ الذي تقدم نحو أبها ٠٠٠٠٠
فانقسم أهل عسير حيثُ إلى قسمين : قسم أسرع لملاقاة تحسين
باشا في جهات محاليل وكان هذا الفريق بإمرة عبد الله بن محمد بن
عائض والتقى الجمعان في تهليل وكان النصر لحليف تحسين باشا
الذي تابع زحفه ٠٠٠٠٠٠ أما الفريق الآخر فقد بقي محاصراً لمدينة
أبها واستطاع أفراد منه دخولها بإمرة عايض بن محمد بن عائض
وعايض بن عبد الرحمن بن عائض ، وعايض بن علي بن محمد بن
عايض ، وعايض بن ناصر وأحمد بن لاحق بن أحمد أبو سراح الزيداني
وعلي بن مشيبة وغيرهم ، وقد وزعوا رجالهم في بعض الأحياء الأخرى
بعد أن تمركزوا في حي البديع والمناظر ٠٠٠٠٠٠ ولكن ذلك لم يفدهم
شيئاً إذ لم يلبث أن وصلهم خبر هزيمة إخوانهم في تهليل ، وتقدم
تحسين باشا نحو المدينة ٠٠٠٠٠ وهذا ما أضعف من معنوياتهم
على حين قويت معنويات خصومهم ٠٠٠٠ وهزم أهل عسير مرة

أخرى على مشارف مدينة أبها وقطع الأتراك خط الرجعة
على الداخلين إلى المدينة فألقي القبض عليهم فأرسلوا تحت
حماية مفرزة يقودها علي عشان إلى محایل ، ومنها إلى الشقيق
حيث أبحر بهم إلى ميناء الحديد ومنها نقلوا إلى صنعاء حيث
كانت تحت إمرة أحمد فيضي باشا (متصرف عسير سابقاً) وصل
الأسرى في منتصف عام ١٣٢٤ هـ فأكرم والي صنعاء مثواهم مدة
ثمانية أشهر، ثم استصدر لهم عفواً من الباب العالي واقترح تعيينهم
في مناصب حكومية ، وبالفعل فقد أعيدوا إلى أبها ، وعين الأمير
عبد الله بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف عسير حقي باشا كما
عين الأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها
أما الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فكان قد جرح في
حصار أبها ، ونقل إثر ذلك إلى بلدة الحرمل حيث قضى نحبه هناك
ودفن فيها عام ١٣٢٤ هـ .

الأدارسة

حلّ بمدينة صيبا عام ١٢٤٦ هـ رجل من متصوفة المغرب اسمه « أحمد بن ادريس » يرفع نسبه إلى الإمام ادريس بن عبد الله المحض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو من أهل فاس ، ولد في إحدى قراها ميسور عام ١١٧٢ هـ (١٧٥٨ م) ، وجاور بمكة نحو ٣٠ عاماً (١) . وذهب إلى تهامة اليمن ، وطاب له المقام بمدينة صيبا فحلّ فيها ، وبدأ يدعو فيها إلى الطريقة الادريسية ، وكثر أتباعه وكانت صيبا يومذاك تتبع عسير التي يحكمها علي بن مجثل وقد سمح له بالإقامة فيها رغم التباين بين الطرفين فعلي بن مجثل يعمل للدعوة السلفية ويتبناها والادريسي رجل صوفي . . . كما أنه قد خصص له موقراً شهرياً من واردات هيزان (٢)

اعترض بعض الطلبة على الادريسي ، ورفع الأمر إلى الأمير علي بن مجثل . . . فكتب الأمير إلى عامله على صيبا وكان يومذاك

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، خير الدين الزركلي الجزء الثاني ص ٥٢٩ الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ بيروت .

(٢) تاريخ عسير في الماضي والحاضر هاشم بن سعيد النعمي

ص ١٨٢ .

محمد بن علي بن خالد الحازمي مستقراً عما ينسب إلى الادريسي من دعوى الكرامات و ٠٠ فأجابه بالسلب وعندما مر علي بن مجثل بمدينة صيبا في طريقه لحصار أبي عريش عقد مجلساً للمناظرة بين يديه ضم الادريسي وخصومه وكبار أنصاره ٠٠٠٠٠

لم تطل حياة الادريسي فقد توفي عام ١٢٥٣ هـ في صيبا ، وخلفه ابنه محمد واستفاد من مركز أبيه فاستمال إليه بعض رجالات القبائل ٠٠٠٠ وتزوج محمد بامرأة من السودان فولدت له ولداً سماه علياً ٠٠٠ فلما شب علي تزوج بامرأة هندية فأنجبت له عام ١٢٩٣ هـ ولداً سماه محمداً ، وهو الذي لعب دوراً كبيراً في المنطقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ٠

رحل محمد بن علي الادريسي من صيبا الى مكة مجاوراً وعمره لم يتجاوز العشرين ، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر مدة ست سنوات ١٣١٤ - ١٣٢٠ هـ ، ثم سافر إلى واحة الكفرة في ليبيا مركز الدعوة السنوسية ، وانتقل منها إلى السودان إلى بلدة « ارجو » من قرى دنقلة وتزوج من هناك ٠٠٠٠ ثم سافر إلى مسقط رأسه صيبا فوجد له مركزاً تركه له جده وجد أبيه ، ووجد البلاد في حالة من الفوضى فاستغل ذلك لمصلحته ٠٠٠

كان محمد بن علي الادريسي داهية ذكياً عالماً جمع بين الحديث والتفسير ٠٠٠

بدأ يعظ الناس في المجتمعات ويأمر بالمعروف وينهى عن

المنكر فأحبه الناس الذين هم بأشد الحاجة إلى مثل هذا وإلى من يأخذ بأيديهم نحو الحق في وقت تعم فيه الفوضى ، ويضيع الحق إن لم تدعمه قوة ، هذا بالنسبة إلى العمل الشعبي ، أما بالنسبة إلى العمل الرسمي فقد أظهر للدولة العثمانية وممثليها قوته ورضاه ، وكانت فكرة الدعوة إلى الجامعة الاسلامية قائمة فعذاها فعينته الدولة قائماً على صيبا وأبي عريش •

قويت شوكة الادريسي في تهامة ، وأراد أن يمد نفوذه خارجها ، ولما كان يعطي نفسه أبهة ويريد أن يجعل حوله هالة بحيث يأتيه الكبار ويجتمع عنده الوجهاء ، فقد تفاوض مع الدولة التركية فأرسلت له وفداً إلى صيبا ، وفي الوقت نفسه طلبت الحكومة من متصرف عسير سليمان شفيق الكمالي الذهاب إلى الادريسي ، فنفذ المتصرف ، واستقبله الادريسي بحشود كبيرة تزيد على ٤٠٠٠ مسلح ليزيد من قوته في نظر الضيف •

كانت القوة الموجودة في أبها لاتزيد عن ٢٠٠٠ رجل ، مما جعل القبائل تستخف بهذه القوة ، وتغير عليها كلما سنحت لها الفرص أو وجدت حاجة من قبل الوالي وتريد أن تتخلص منها • • وقد طلب المتصرف سليمان شفيق الكمالي قوة من استانبول • • • وبالفعل فقد وصلت قوة إلى القنفذة قوامها ٣٠٠٠ رجل بينما كان طلب المتصرف أن تكون في جيزان لإخافة الإدريسي ، ووضع بين نارين إن هو فكر في الثورة ، أو أراد التناول على الدولة •

استطاع الادريسي أن يقنع الأتراك أنه لافائدة من الحملة التي نزلت في القنفذة، وذلك حتى يبقى شأن متصرف عسير ضعيفاً وبالفعل فقد انسحبت الحملة من القنفذة وعادت إلى تركيا . . .

وعندما جاءه متصرف عسير ذكر للأهالي في المنطقة أن المتصرف قد جاء إليه لمبايعته ، ولكنه هو رفض ، بحجة أنه لا يريد شيئاً من الرئاسة أو الوجاهة ، وفي الحقيقة كان يسعى حثيثاً وراء ذلك بل لا يطلب غيرها

اتفق مع المتصرف أن تحل مشكلات الخلاف بين القبائل في صيبا عند الادريسي على أن يرأس الاجتماع مندوب من قبل متصرف عسير ، وهذا التساهل من قبل المتصرف ما هو إلا محاولة لمثبتي دعائم الأمن في المنطقة ، إلا أن الإدريسي لم يتقيد بهذا فكان يحاول حل الخلاف دون اعلام السلطات بما جرى .

اقترح متصرف عسير أن تكون الشقيق ثغر أبها بدلاً من القنفذة البعيدة عنها إضافة إلى طول طريقها والتوائه ، ولكن هذا لا يناسب الإدريسي لأن الحملات في هذه الحالة تمر من منطقة نفوذه لذا فقد رفض الإدريسي هذا الاقتراح وطلب الغاء بحجة أن رجال القبائل لا يقبلون نزول الجند في الشقيق ، ونحن الآن بحاجة إلى إرضاء السكان والقبائل وعدم إثارتها وهذا كله في سبيل تقوية مركزه ، ورغبته في الاستقلال ، وإضعاف شأن متصرف عسير حيث يريد أن يوسع نفوذه .

بدأ الإدريسي يتصل بالطليان بواسطة ابن عمه في القاهرة،
ويشتري الأسلحة من هذه الجهة ويزود بها الجند ، خاصة وأن
إيطالية في اترتيرة على الطرف الثاني من البحر الأحمر .

قلب ظهر المجن للدولة التركية عندما قوي أمره ، وأعلن عن
قيام حكومة خاصة به عام ١٣٢٦ هـ ، وبايعه أهل صيبا ماعدا أحمد
شريف الخواجي الناقم عليه ، واتجهت وفود القبائل نحو مركزه
تعلن المطاعة .

لقيت دعوة الإدريسي آذاثا صاغية في عسير أيضاً بسبب
دعواه في إعادة النظام وحفظ الأمن وتطبيق الشرع ، وقد ظهر
قوياً فعلاً ، والناس قد ملّوا الفوضى التي كانت تنتشر في المنطقة
إضافة إلى خوف السكان من الشريف حسين بن علي شريف مكة الذي
يطمح في توسعة نفوذه ومده إلى عسير ، وأعلن لرجال القبائل
أيضاً أنه يريد إخراج الترك من المنطقة فوافق هذا هواهم وما في
نفوسهم ، خاصة وأن بعضهم ظن أنه إذا خرج الأتراك من المنطقة
وتماذى الإدريسي في غيه ، فبإمكانهم إخراجه بسرعة ما دام غريباً
ضعيفاً لاعصبية له ولا سند .

جاءت إلى الإدريسي وفود القبائل من عسير كلها : رجال
المتع جميعهم ، ورجال الحجر كلهم ، وقبائل عسير (بنو مغيد -
علكم - بنو مالك - ربيعة ورفيدة) ، قبائل قنابو البحر ، آل موسى ،
الكريش ، بارق ، الدريب ، حلي بن يعقوب ، غامد وزهران ،
بيشة ، شهران ، نجران ، قحطان ، وكان ابن دليم مديراً لمناحية

في قحطان وعمل مع الحكومة مدة من الزمن ثم ساند بقبائل قحطان جميعها الادريسي وتولى قيادتها في حصار أبها •

حاول متصرف عسير أن يقف في وجه الادريسي إذ بث الدعاية ضده وأرسل حملة عسكرية للهجوم على صبيا إلا أنها فشلت ، وأشيع أن المتصرف نزل لتسليم الأمر إلى الادريسي ، ولم يقف الأمر عند فشل الحملة ، بل هجمت عليها رجال القبائل الموالية للادريسي ، ولم ينقذها من التهلكة إلا ادعاء قائدها بأنه في طريقه إلى ميناء جيزان ولا فكرة عنده للقتال أو الاعتداء •

ولما عجز متصرف عسير كتب إلى استانبول يوضح خطر الإديريسي وسوء عاقبة صلته بإيطالية ، فاستدعت استانبول الادريسي للتحقيق معه بشأن أحمد شريف الخواجي الذي اختلف معه فرفض الحضور لذلك طلبت من عزت باشا قائد قواتها في اليمن ومن معاونه عضمت اينونو تجهيز حملة بحرية للقبض على الادريسي وارساله إلى تركيا •••••

انطلقت الحملة التركية ونزلت في مرفأ جيزان بقيادة محمد راغب وكان تعدادها يزيد على أربعة آلاف جندي ولما بدأ القتال هزم الاتراك هزيمة منكرة بسبب قلة المياه وتركوا في ميدان المعركة أكثر من ثلاثمائة قتيل ••••• وكان لايطالية دور عملي من جهة البحر •••• وانسحب الاتراك من ميناء جيزان إلى جزيرة فرسان ، ودخل الإديريسي جيزان واستولى على كل ما فيها من ذخيرة وبقي الاتراك في جزيرة فرسان ثم ساروا بعد ثلاثة أشهر

إلى القنفذة تحت ضغط ايطالية أيضاً ، ولاحقتهم إلى القنفذة
أيضاً لمساعدة جيش الادريسي الذي كان يحاصرها براً ٠٠٠٠٠٠ ورغم
تدمير السفن التركية الراسية في ميناء القنفذة إلا أن الحامية لم
تستسلم وبقيت محاصرة براً وبحراً ٠

وترامت الأخبار بعزل متصرف عسير كاظم باشا واستبداله
بسليمان شفيق (١) باشا الكمالي فقام آل عائض بوداع كاظم
واستقبال المتصرف الجديد من ميناء الشقيق في أواخر عام ١٣٢٦ هـ
وبعد وداع كاظم عاد الجميع يخفون بالمتصرف الجديد ٠٠٠٠٠٠٠
وفي آخر عام ١٣٢٨ هـ بدأ المتصرف الجديد سليمان بن باشا يتبرم
من آل عائض الذين لمسوا فيه سوء نية ، ذلك أن الأدريسي قد
أدرك أن الوفاق بين آل عائض والمتصرف التركي ليس من مصلحته
في شيء بل يرى في ذلك خطراً عليه يهدده ويقضي على مخططاته
فرغب في ابعاد آل عائض ، وجنح إلى استعمال الحيلة وإيجاد
مايفرق بين الطرفين وقد تمكن من ذلك فارتاب آل عائض في أمر
المتصرف وفكروا في التخلص منه لذلك عقدوا اجتماعاً سرياً في
بلدة حرمة لدراسة الموقف وتبادل وجهات النظر في الثورة ضد
سليمان باشا ٠٠٠٠ كما أنهم أخذوا في الحسبان موقف الادريسي

(١) سليمان شفيق الكمالي : متصرف عسير وقائد حاميتها
١٣٢٦ - ١٣٣١ هـ وانتقل بعدها إلى سورية ، ثم أصبح والي البصرة
وقائد الفيلق العثماني فيها عام ١٣٣٢ هـ ، وأخيراً تسلم وزارة
الحربية .

الذي يرقب أحداث عسير ، وموقف شريف مكة الحسين بن علي الذي يهتم بأمور عسير أيضاً ، لذلك قرروا التلويح بالثورة ضد الترك ليحسوا نبضه ويعرفوا حقيقته .. وتم ذلك ففي الوقت الذي نصحه الشريف حسين بالتريث والانتظار لأن الوقت غير مناسب كان الادريسي قد شجعهم وحثهم ووعدهم بالمساندة والمساعدة ووضع كل امكاناته تحت تصرفهم وحرصهم طالباً السرعة ...

بدأ التنسيق بين آل عائض والادريسي للثورة وشعر سليمان باشا بيوادر الحركة فأعد العدة لها واحاط الباب العالي بالخبر لإرسال ما يحتاجه من أقوات وعتاد وبدأت المناوشات وقرر سليمان باشا الدفاع والاستماتة .

تقدمت رجال القبائل نحو أبها وألقت الحصار عليها وأمر الادريسي قائد قواته في تهامة السيد مصطفى النعمي بالتوجه إلى أبها ومساعدة عسير في انقاذ المدينة من الأتراك ، فنفذ النعمي الأمر وسار على رأس قواته إلى أبها بينما بعث فرقة منهم لمساعدة رجال الحجر الذين يحاصرون الحامية التركية في شعار وقد تمكن رجال الحجر ومن جاءهم من تهامة من دخول شعار والقضاء على الأتراك الذين كانوا فيها ثم توجهوا إلى أبها لمعاونة إخوانهم في حصارها الذي استمر من شهر ذي القعدة عام ١٣٢٨ إلى شهر رجب عام ١٣٢٩ هـ ، وكانت أيام قاسية على الحامية التركية

من شدة الجوع والخوف والنقص في العدد وكاد الأمر يتم
للمهاجمين ، وأوشك الاستسلام أن يقع لولا خبر تقدم شريف
مكة الحسين بن علي بالنجدة

أدرك سليمان باشا لعبة الادريسي عندما بلغه نبأ اشتراكه
مع آل عائض في الثورة ضد الترك . كما أن اشتراكه هذا لم يكن
حجاً في آل عائض وإنما مرحلة لتنفيذ مخططاته إذ استغل ظروف
الحرب ضد الترك مع آل عائض في محاصرة أبها واتصال اعوانه
بالبقائل واتصال دعائه بالاعيان فكانوا يثون آراءه بكل أمن
وجرية مما جعل آل عائض يدركون نواياه ويتعدون عنه ويسرع
الأمير محمد بن عبد الرحمن لمقابلة الشريف حسين في القنفذة
والسير معه إلى أبها وكذا الأمير حسن بن علي الذي كان
على رأس المحاصرين لأبها أصبح على رأس المساعدين .

لما علمت الدولة التركية بوضع حاميتها السيء في أبها كلفت
أمير مكة الشريف حسين بن علي للعمل على انقاذها ، وطلبت من
قائد حاميتها في القنفذة نشأت بك أن ينضم وجنده إلى حملة
الشريف عندما تصل إليه ، وأمدته بالذخيرة والجند .

ولم يكن أمير مكة على وفاق مع الدولة التركية ولكنه
يريد أن يقوم بالدعاية لنفسه في عسير تمهيداً لما يمكنه من أمر يزعم
عمله في المستقبل ، كما أنه يريد أن يثبت وجوده في المنطقة التي
تتلاطم فيها الأحداث كأواج البحر ، وامتداد نفوذ الزعماء بين

مد وجزر ، ومن جهة ثانية يريد أن يخفي بعمله هذا على الدولة
مايشيع من اتصالات تتم بينه وبين الحلفاء .

سار الحسين بن علي على رأس جيش كبير نحو تهامة وعندما
وصل إلى القنفذة انضم إليه نشأت باشا بمن معه من الجند
كما وصل إليه الأمير محمد بن عبد الرحمن - كما ذكرنا - والتقى
الجيش الزاحف بجيش الإدريسي في الجنوب الشرقي من
القنفذة فاندحرت قوات الإدريسي ثم أعقبتها معركة
حامية لم تختلف عن سابقتها ثم خرج الشريف حسين بجيشه
إلى سراة بني شهر عبر عقبة « ساقين » ومن هناك اتجه إلى بلاد
بالأسمر وبالأحمر فعقبة شعار حيث التقى شمالها بجيش
الإدريسي وعسير فهزمه ، ووالى زحفه نحو أبها

ونستطيع هنا أن نتوقف قليلاً لنلاحظ نقطتين اثنتين :
أولاهما أن الهزائم التي توالى على القوات المناهضة للترك قد
أضعفت معنوياتهم على حين قويت معنويات جيش الشريف خاصة
وأن الاسطول التركي كان في البحر الأحمر يضرب موانئ
الإدريسي لذا فقد انسحب الجيش المحاصر لمدينة أبها إلى
مراكزه ، وثانيتها : أن رجال القبائل الذين كانوا يظنون أن
الإدريسي ضعيف وأنهم يستطيعون إخراجه فيما إذا خرج الترك
قد غيرا رأيهم عندما رؤوا دهاءه ، وعلموا أطماعه ، وعرفوا صلته
بالظليان و لذا ماكادت تصل طلائع الشريف إلى بلادهم
حتى تركوا جيش الإدريسي وانضموا إلى الشريف وعلى رأسهم

الأمير حسن بن علي آل عائض • أما رجال ألمع وقبائل تهامة فقد بقوا على ولائهم للادريسي •

بقي الشريف حسين بن علي شهراً كاملاً في أبها استقبل فيه وفود القبائل وبذل لها المال بسخاء وعاد إلى الحجاز عن طريق بلاد شهران - بيشة - الطائف ولكنه لم يخرج من أبها إلا والأمير حسن بن علي آل عائض معاوناً لمتصرف عسير سليمان شفيق الكمالي ، والأمير محمد بن عبد الرحمن محافظاً لمدينة أبها ، كما عين بقية آل عائض برتب فخرية ووافقت الدولة على ذلك •

ضعف الادريسي وعاد لمتصرف عسير مركزه وبدأ يغير على المناطق التي يسيطر عليها الادريسي ، ولكن الأمر لم يطل إذ لم تلبث ايطالية أن أعلنت الحرب ضد تركيا ونزلت في بلاد ليبيا وأخذ اسطولها الحربي يقصف الموانئ التركية ومنها المنتشرة على شواطئ البحر الأحمر ، فنشط الادريسي وجرد حملات عسكرية ضد القبائل الخارجة على طاعته ، خاصة في تهامة ، وعاد الأمر إليه في شمالي عسير والقنفذة وهذا ما أقض مضاجع الشريف مكة لذا أسرع فأرسل ابنه فيصلًا على رأس حملة إلى تلك الجهات فالتقى مع قوات الادريسي قريباً من القنفذة ورغم مساندة الطليان للادريسي وقصفهم جيش الحجاز من الاسطول في البحر إلا أن النصر كان بجانب الحجازيين ، وهم فيصل بدخول عسير عن طريق بلاد رجال ألمع إلا أن رسالة جاءت من أبيه تدعوه للعودة

للعمل ضد الأتراك في الحجاز • وكان مما زاد قوة الادريسي أن
إيطالية بعد أن اتفقت مع تركية التي انسحبت من ليبيا قد طلبت
دعم الادريسي وأصبح الخلاف بين شريف مكة والادريسي خلافاً
شخصياً على التوسع وزيادة النفوذ ، وكل منهما يعمل ضد الترك •

هدأ الوضع في عسير فقد أصبح متصرف عسير يعاونه الأمير
حسن بن علي آل عائض وهو من قادة البلاد كما أن تصرف
سليمان باشا كان واعياً إذ عهد بالتموين إلى المتعهد محمد سعيد
باحيدرة وهو رجل من حضرموت ، له صلة بالسكان ، وهو ثقة
عندهم ، وقدم له المساعدات إذ كانت عليه ديون نتيجة توليه
هذا العمل في السابق وعدم توفيقه للأحداث التي مرت على
البلاد • لذا بدأت الأوضاع تتحسن وتسير في طريقها الطبيعي •

نقل سليمان باشا من عمله في عسير وجاء محله علي حيدر
بك الذي لم تطل مدة ولايته إذ أحيل على التقاعد ••••• وجاء
محي الدين باشا واندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، ووقفت
تركيا بجانب ألمانيا ضد الحلفاء ••••• ووقف الادريسي بجانب
الحلفاء ضد الأتراك ، ومن جهة ثانية فقد لاحظ بدء زيادة نفوذ
انكلترا وقوة مركزها في البحر الأحمر فعقد معها معاهدة صداقة
عام ١٣٣٤ هـ حيث اعترفت له بالسيطرة التامة على تهامة من اللحية
جنوباً وحتى القنفذة شمالاً ، وكان للعثمانيين جنوبي إمارته
بعض المراكز ومنها اللحية فساعدته على احتلالها ، وجدت
المعاهدة عام ١٣٣٦ هـ وتعهدت انكلترا بحمايته كما تعهد بعدم

اجراء أي اتصال سواء كان سياسياً أم تجارياً دون علمها ، وكذلك
ضم الحديدية إليه بعد الحرب •

وجد الادريسي نفسه بين نارين ، إمام صنعاء الذي يريد
ضم تهامة إليه ويعتبرها جزءاً من اليمن ، وشريف مكة الذي يعتبر
تهامة من أرض الحجاز إضافة إلى آل عائض الذين يفكرون بالثورة
ضد الاتراك ولا بد من الصدام في المستقبل وتشرب أعناقهم إلى
تهامة أيضاً من قمم السراة ويعتبرونها تتبع عسيراً • أمام كل هذا
كاتب أمير نجد عبد العزيز آل سعود ، وبقي مرهوب الجانب
حتى توفي عام ١٣٤١ هـ ، وتولى الأمر بعده ابنه علي •

استولى إمام اليمن يحيى حميد الدين على القسم الجنوبي
من تهامة ، إذ أخذ الحديدية وضم إليه المنطقة الساحلية حتى بلدة
ميدي •

ثار سكان تهامة على علي الادريسي وبايعوا عمه الحسن ،
فلجأ علي إلى آل سعود في نجد وأقام في الرياض •

أعطى حسن الادريسي انكلترا حق التنقيب عن النفط في
جزر فرسان ، كما فاوض السعوديين وإمام اليمن والايطاليين ،
ولكن سفارته إلى آل سعود هي التي نجحت إذ أبرم ابن عمه
ميرغني معاهدة في مكة بينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود
عام ١٣٤٥ هـ وضمت بعدها تهامة ضمن المملكة العربية السعودية •

نهاية الأتراك

قوي التعاون بين تركية وأهل عسير أثناء الحرب العالمية الأولى وكان الاتفاق قائماً بين محي الدين باشا متصرف عسير والأمير حسن بن علي آل عائض ، وكان المتصرف رجل حنكة وخبرة ودهاء وسياسة وقد أقام القلاع في منطقته وفتح الطرق ، وقد عانى أهل عسير أيام الحرب ما عانوا من مصائب وصعوبات بسبب عزلة بلادهم ، وانحصر أراضهم بين مناطق تائرة على الدولة سواء من ناحية الغرب حيث ثورة الادريسي على الاتراك وهو يتعاون مع الانكليز أم من ناحية الشمال حيث أعلن الشريف حسين ابن علي الثورة على الاتراك أيضاً بعد عامين من بدء الحرب وبعد أن ساعد أهل عسير ضد الادريسي أم من ناحية الجنوب حيث أئمة صنعاء على خلاف مع الاتراك وكذا في الشرق حيث تمتد أملاك آل سعود •

انتهت الحرب العالمية الأولى ، وهزم الاتراك ، واضطروا للانسحاب من منطقة عسير والبلاد التي تخضع لهم ، ووصلت الأوامر السلطانية في شهر ربيع عام ١٣٣٧ هـ عن طريق الانكليز والادريسي تطلب من المتصرف مغادرة عسير وتسليم أمرها وذخيرتها إلى آل عائض •

نزل محي الدين باشا وهبط من السراة إلى الشقيق على
الساحل ومعه أفراد الجالية التركية من موظفين إداريين والقوة
النظامية التركية وعددهم لا يتجاوز ثلاثة آلاف جندي ، وقد
نقلتهم إلى تركيا بواخر انكليزية حسب الاتفاقية التي تمت بين
الاتراك والانكليز وهكذا انتهت آخر سيطرة للاتراك في
بلاد العرب •



الاستقلال

قبل رحيل محي الدين باشا آخر متصرفية الأتراك في عسير جمع آل عائض ومعهم أهل الحل والعقد وأخبرهم بوصول الأوامر إليه بالانسحاب من عسير وتسليم الأمر إليهم مع مخلفات الدولة جميعها من معدات ومنشآت ، من ضمنها ثمانون قلعة متفرقة في البلاد ، وتسلم منهم وثيقة موقعة من الأمير حسن بن علي ومحمد ابن عبد الرحمن ومحمد بن ناصر وعائض بن علي آل عائض وغيرهم ... كما بقي في عسير عدد من الحامية التركية رغبوا في البقاء ثم قال لهم : أريد قبل الذهاب أن أنصح لكم فإن بلادكم واقعة بين عدة نيران وكل يريد التهامها فالادريسي في الغرب وهو صاحب نفوذ وصلة معروفة ، وأكبر أمله أن يضم إليه عسير وفي الشمال الشريف ورغبته في عسير لا تقل عن رغبة الادريسي ، وفي الشرق آل سعود وأملهم في التوسع كبير ... وفي الجنوب إمام اليمن وأقدم لكم بعض الحلول لتأخذوا بأحسنها عندكم حتى تستطيعوا البقاء وتضمنوا لبلادكم القوة والاستقلال .

١ - أن تنفقوا مع الانكليز فإنهم أصحاب النفوذ الحالي والسيطرة الحقيقية وتمتد أيديهم إلى الكثير من المناطق

فصلتهم مع الادريسي معروفة ، وعلاقتهم مع الشريف لاتخفى على أحد ، كما اتفقوا مع الوهابي (عبد العزيز آل سعود) وقدموا له ١٥٠ ألف بندقية أم تاج و وليس كلامي هذا محبة لهؤلاء الانكليز الملاعين ، فهم أعدائي وسبب القضاء على دولتي و ولكن اتكلم الواقع وهذا ما أريده لكم .

رفض آل عائض هذا الرأي وأبدوا أنهم لا يمكن أن يتعاونوا مع أجنبي مهما كان

قال : فإن رفضتم فإليكم رأياً آخر .

٢ - الاتفاق مع الملك عبد العزيز آل سعود ، فإن ملكه سيمتد ونفوذه سيتسع وقوته كثيرة ومعنوية الشعب عنده كبيرة ، وله محبة عندهم ورهبة وإن أخوف ما أخافه عليكم هو

تداول آل عائض الرأي ، ووجدوا أن بلاد نجد بعيدة عنهم ولا يزال القتال قائماً بين الملك عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد في الشمال ، والخلاف واقع بينه وبين الشريف حسين . ولا بد من صدام في المستقبل بينه وبين إمام صنعاء ، فما هي الضرورة للارتباط معه والعداوة لإمام اليمن وشريف مكة و ؟

ولذا فلم يوافقوا على ذلك ، وأبدوا رفضهم أيضاً للرأي الثاني .

فأجاب محي الدين باشا إذن لكم الرأي الثالث
والأخير ولاسواء وهو .

٣ - الاستقلال : وهو إذا حصنتم بلادكم واستفدتهم من المعدات الموجودة عندكم وفي قلاعكم فلن يستطيع أحد اقتحام أرضكم بشرط أن ترابطوا فيها ولا تخرجوا لغيرها فإن طلبات الانحياز ستصل إليكم من مختلف الأطراف التي ذكرناها والتي هي في خلاف دائم مع بعضها بعضاً

وبعد هذا تداول آل عائض الأمر ارتؤوا أن هذا الحل هو المقبول عندهم ولا غيره وتم الاتفاق والدعوة بالتيسير والنجاح وانتهى الاجتماع .

وهذا ماتم في السراة بين محي الدين باشا الذي سيرحل عنها وبين آل عائض الحكام الجدد ، أما في تهامة فقد خشي الإدريسي كثيراً و « لعب الفار بعبه » كما يقولون . خاف الإدريسي أن يتسلم آل عائض عتاد الحامية التركية في عسير وعندها يقوى أمرهم ويستطيعون الذود عن حياض عسير التي يرغب الإدريسي في ضمها إلى ملكه وهي من أولى أمانيه بل ويستطيعون عندها العودة إلى صبيا وتهامة وهي التي كانت ضمن حدود إمارتهم .. فرأى أن يكتب إلى الطرفين بشكل سري يوقع ما بينهما ويستفيد بالحصول على العتاد

كتب إلى محي الدين باشا بأن آل عائض يريدون الوقعة به وبمن معه من الاتراك عندما يرحلون عن بلادهم وليس معهم شيء من السلاح وأن الأمير حسن بن علي آل عائض سيكون بعيداً عن أبها يوم سفره ولن يكون في وداعه لذا

عليه أن يأخذ الحذر والحيطة ويسير بكامل السلاح مع القوة التركية وليكن في الطريق حذراً حتى يصل إلى درب بني شعبة وعندها سيكون في مأمنه وب حمايته هو (الادريسي) بل على استعداد لارسال قوة تحميه من رجال القبائل التي يمكن أن تهاجمه وأن هذا ما وصل إليه من جهات موثوق بها تماماً .

وكتب إلى الأمير حسن أنه قد بلغه من جهة ثقة أن محي الدين باشا يريد أن تسير معه مودعاً وكبار أهلك وأنه سيقبض عليكم وسيحملكم معه أسرى إلى تركيا لذا فأرى أن تبعد عن أبها يوم الرحيل على الأقل وإن طلبك فيالك والحضور .

وقع أثر رسالتي الإدريسي في نفسي اللذين تلقياها بشيء من الحذر فقد بقي الأمير حسن بعيداً عن أبها في بلدة حرمله إلا أنه قد أمدّ الحامية بالجمال لتنتقل عليها وكتب إلى كبير الجمالة يوصيه بالجند ويقول له : هؤلاء أمانة لدينا ماداموا في حدود بلادنا حتى يتسلمهم الادريسي وبخاصة المتصرف الباشا وأعوانه . وكذلك فمحي الدين قد أخذ معه ما أمكنه من سلاح حذراً وحيطة وتأهباً لكل حادث .

وصل محي الدين باشا إلى درب بني شعبة فاتجه إلى كبير الجمالة وقال له : لماذا حسن في ضلع ؟ إنه جبان ! فأجابه قائلاً : لم يكن في نية حسن فكرة الهجوم ، وقد أوصانا خيراً خاصة بالنسبة لكم وهذا كتابه لي ، وأعطاه فقرأه وعلم أنه خدع

أما الادريسي فقد استقبلهم في درب بني شعبة بجيش قوامه ستة آلاف مسلح وأخذ السلاح منهم ، واعتبرهم اسارى حرب ، وساقهم مباشرة في طريقهم إلى شقيق حيث تنتظرهم البواخير الانكليزية وبهذا حصل الادريسي على كمية من السلاح وإن لم يكن السلاح الثقيل من ضمنها .

واستمرت الكتب تتوالى على الأمير حسن من الادريسي . شكل الأمير حسن حكومة محلية ، وأقام نواة جيش صغير كان يضم عدداً من الضباط الترك الذين تخلفوا في عسير ، وقبض على زمام الأمر بشكل جيد ، ولكن كان ينقصه شيء كثير كان بحاجة إلى المال فالبلاد تدخل عهداً جديداً وتخرج من فترة فوضى فهي بحاجة إلى مشروعات كثيرة، وإعادة ما خرب أثناء عهد الحروب والزمن المرير الذي مرت فيه ، وبحاجة إلى الرجال الأكفاء الذين يديرون الشؤون ويتعهدون الأمور ، وإن وجدت فئة قليلة منهم تبرزت أثناء الحكم التركي بما أوكل إليها من وظائف ولكنها لا تكفي ، وبحاجة إلى الجند الكثير الذي يحمي البلاد من أطماع الطامعين وما أكثرهم وهم على مقربة ، وبحاجة إلى النشاط الزراعي بعد أن مله الناس بسبب مامر عليهم من خوف وما وجدوه من انعدام أمن ، والآن وقد حصرت البلاد وانقطعت مع الخارج علاقاتها ، وتوقفت المساعدات من الدولة التركية ، وذهب ما كان يصرفه الموظفون والاداريون وأصبحت تعتمد على الانتاج المحلي بالدرجة الأولى لأن الاستيراد بحاجة إلى مال، والمال مفقود

نظر رجال هذه الدولة الناشئة إلى وضعهم الذي هم فيه ورؤوا التعاون مع الجوار الذين هم على صلة بالخارج بشكل أوسع، والذين تمرسوا على إدارة البلاد، إلا أنهم اختلفوا حول الجهة التي يتعاونون معها فقد رأت مجموعة التعاون مع الادريسي ومنهم القاضي عبد الله بن مرعي وعبد العزيز المتحمي وابن حامد وابن معدي وابن دليم وابن مشيط وقد استطاعت هذه المجموعة كسب الأمير حسن بن علي نفسه

ورأت مجموعة أخرى التعاون مع الشريف حسين ومنهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عايش والشريف الحسيني وشيوخ بني شهر وغيرهم

وكانت أموال تتدفق من الإدريسي إلى رجالات عسير كما أن أعداداً يفدون عليه وينالون من أعطياته ويرون من كرمه ... واتفق أهل الرأي في البلاد أن يذهب وفدان من البلاد كل وفد إلى جهة من الجهتين التي يتجه نحوها نظر بعض الأفراد ... وتكون اتصالات واجتماعات وعندما يعود الوفدان ينظر بما رجع به المخبرون ...

سافر الأمير محمد بن عبد الرحمن وابن عمه فاصر إلى مكة ... والتقوا بشريف مكة ...

وسافر الأمير حسن بن علي ومعه رؤساء عسير وشهران وقحطان إلى المخلاف السليماني ومكث يومين في الدرب ومثلها

في صبياء، وثلاثة أيام في جيزان ، ويظهر أن هذا الانتقال كان يحمل،
طيه هدفاً سياسياً يريد أن يستجلي فيه رأي القبائل والقوة الحقيقية
التي يملكها الادريسي وقد حدث لهذا الوفد أن التقى
بالادريسي وتمت اتفاقية بين الطرفين . . . بحيث توحد القوتان
اللتان في عسير وتهامة وتعملان معاً ضد الشريف في مكة وإمام
اليمن في صنعاء وأن يكون الادريسي في صبيا المسؤول
الأول ونائبه الأمير حسن في أبها وله الحق في مرتب شهري قدره
خمسة آلاف ريال ولكن الادريسي بما عرف من سياسة
وذكاء قد استطاع أن يتصل بكل عضو من أعضاء الوفد . . .
ويعطيه مبلغاً من المال شهرياً يجعله مرتبطاً به وبخاصة ابن دليم
شيخ مشايخ قحطان

وعاد الوفد إلى أبها ينتظر عودة الوفد الذي سافر إلى
مكة وبعد مدة وصل الأمير محمد بن عبد الرحمن ويحمل
في جعبته اتفاقاً مع الشريف ينص على ارتباط عسير اسماً بمكة
مع موافقة الأمير حسن .

اجتمع أهل الرأي للتنسيق بين الاتفاقين وتوصلوا إلى
رأي موحد وهو الاستقلال فإنه الحل الأمثل والطريق الصحيحة
للخلاص من التنافس على عسير

جاء طلب الادريسي إلى عسير يقتضي بتحقيق اتفاقية صبيا
وارسال السلاح اللازم من مخلفات الاتراك الثقيلة لحرب الإمام

يحيى حميد الدين ورأى الأمير حسن أن الاعتذار عن ارسال السلاح يكفي وحده لنقض اتفاقية صبيا والتخلص من سيادة الإدريسي المزعومة لعسير فاعتذر عن ارسال السلاح بحجة وجود قبائل مناوئة ويقتضي الأمر اخضاعها واستعمال السلاح ضدها . وأرسل الأمير حسن إلى الادريسي وفداً برئاسة ابن عمه الأمير ناصر بن عبد الرحمن آل عائض وقابل الإدريسي نقض اتفاقية صبيا من قبل الأمير حسن برد فعل قوي إذ اعتقل الوفد الذي عنده برئاسة الأمير ناصر ، وأغلق ميناء جيزان في وجه التجارة العسيرية ، ومصادرة كل ما يأتي من وإلى عسير عن طريق رجال ألمع في حين يسمح للموالين له من أهل عسير بالتجارة وعدم التعرض لهم بسوء أو بالأحرى فرض حصارٍ اقتصادي على عسير .

أمام هذا التصرف الادريسي كان لابد من التوجه نحو الشريف حسين وميناء القنفذة الذي يعتبر حجازياً وشعر الادريسي بمغبة الأمر وسوء تصرفه الذي أعقبه دعاية لخصمه شريف مكة ورأى أن عليه القيام بعمل عسكري لينهي كل وضع في غير صالحه

بدأ الادريسي بالاتصال بمشايوخ عسير ممن يثق بهم ، ويوضح لهم أنه عازم على دخول أبها بعد أن أدخل آل عائض بوعودهم وموائيقهم ، ويطلب منهم مناصرته في دخول أبها وأرسل جيشين الأول عن طريق رجال ألمع والثاني عن طريق بلاد قحطان وكان قد اتصل بإمام اليمن وطلب منه السلاح والرجال

لمحاربة عسير الذين يعملون لحرب الطرفين (الادريسي - إمام اليمن) ، إلا أن إمام اليمن قد رفض اعطائه السلاح ولكن أمده بعشرة آلاف جندي ٠٠٠٠ وكان الإمام يتتبع حوادث القتال بشكل دائم ٠

أما الأمير حسن فقد اتصل بالشريف حسين بمكة وأعلمه حقيقة الوضع وطلب منه النجدة ٠٠٠ وأعلن النفير بين القبائل الموالية له ، وطلب من ابن دليم ترك الادريسي والانضمام إليه فأبى ٠٠٠

تقدم الجيش الادريسي الأول في بلاد رجال ألمع فتعرض له شيخ محایل سليمان بن الخالد وأثناء هجومه على حامية الادريسي قتل اثنين من رجال ألمع مما أثار العصبية ، فوقف رجال ألمع جميعهم مع الادريسي وهرب شيخ محایل والتجأ إلى الحجاز في حين دخل رجال الادريسي محایل ٠٠٠٠ وسار الجيش وتمركز في باحة ربيعة ورفيدة حسب نصيحة عبد العزيز بن عامر المتحمي ولم يجد مقاومة أثناء تقدمه هذا ٠٠٠٠ وبينما كان الأمير حسن يستعد لملاقاة هذا الجيش ، إذ يصله خبر تقدم الجيش الثاني الادريسي في بلاد سنحان ووصوله إلى المنطقة المسماة بالبطحاء ومعه ابن محمد بن عبد الرحمن فهزمت في بداية الأمر وعندما وصلتها نجدة بناء على طلب أميرها الذي ضرب خصمه ضربة لاذ على أثرها بالفرار وهرب الجنود اليمنيون بسلاحهم إلى بلادهم ٠٠٠٠٠

وكذلك هزم الجيش الأول الادريسي بعد أن وصل لقوات
الأمير حسن نجدات وبخاصة وصول الجيش الذي انتصر في
البطحاء ضد قوات الادريسي وهكذا علت راية آل
عائض فوق ربوع عسير وخرجوا منتصرين في معركة كانت أكبر
من طاقتهم وأقوى من قوتهم حيث كانت جموعهم متفرقة وقبائلهم
مشتتة ، وقلوب مشايخها موزعة ، والأموال تغدق على الأفراد
والكبار

وكانت أثناء تلك المعارك وفود في أبها لاستمالة آل عائض ..
وفود من جهات ثلاث من السعوديين والادارسة والهاشميين وربما
كان الهاشميون أقرب الوفود إلى النفوس ولكن دون عهود أو
موائق

استقل ابن دليم وابن مشيط في بلاد شهران وقحطان وكانت
الدعوة السلفية قد انتشرت في بلديهما وكانا من جنودها هما
أيضاً

أما الادريسي فقد رأى أنه هزم عسكرياً وفشل سياسياً
وفده أيضاً في أبها فرأى أن يسلك طريقاً أخرى هي طريق السياسة
مع الخداع وبخاصة بعد أن طلب آل عائض الاستعداد للهجوم
عليه .. .

نظر الإدريسي إلى فشل الوفد السعودي سياسياً في أبها
فهو شريكه من هذا الجانب وأن المؤثر عليه إنما هو الجانب الديني
فكتب إلى الملك عبد العزيز آل سعود يوضح له خطر

آل عائض وضرورة الاتفاق ضدهم وادعى أنهم ينتهكون
حرمات الدين وأن الأمير حسن قد عقد على الاختين
(الواقع أن الأخت الأولى كانت قد ماتت فعقد على
أختها) •

كتب ابن سعود كتاباً إلى آل عائض وأرسله مع ابن مشيط
يذكرهم فيه بالروابط السابقة بين أسرهم وأسلافه السعوديين ..
أجاب الأمير حسن أنه لاخلاف بين السعوديين وآل عائض
أبداً وأن هذا سيبدو جلياً بعد الانتصار على الشريف الادريسي
وإمام صنعاء فإنهم سبب ما يحدث في المنطقة وما يتم بين القبائل
من حقد وضغائن ... •

جاءت رسالة ثانية من الملك عبد العزيز إلى الأمير حسن
وفيها نوع من التهديد وإن كانت من النوع السياسي بحيث تفسر
على أنها طلب الطاعة كما تفسر على أنها نوع من التقريع والتهديد •
وكان جواب الأمير حسن مشطاً من الرصاص •

فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة عبد العزيز بن مساعد تركز
في بيشة مدة شهرين يتصل خلالها بالقبائل ومعه ابن دليم شيخ
قحطان وابن مشيط شيخ شهران ... وسارت سرية من بني شهر
لمباغثة جيش ابن مساعد وكان عددها ٤٠٠ مقاتل إلا أنها فنيت
بكاملها في موقع يقال له « العين » إذ فاجأها بدلاً من أن تباغته
إذ أدركها النوم بعد أن أعياها التعب وإذا بالجند يذبحون فيها •

وتقدم ابن مساعد إلى بلاد شهران الشرقية فمكث في القاعة
مدة من الزمن ثم سار فتمركز في بلدة خميس مشيط •

وجد آل عائض أن موقفهم في حرج وبلادهم في خطر إذ
بينما يتقدم إليهم جيش ابن مساعد من ناحية الشرق ويريدون
ملاقاته إلا أنهم يخافون أن يوجهوا كامل قوتهم إليه فيتقدم
الادريسي من الغرب وهم يعلمون أطماع الأخير في عسير ويعرفون
الاتصال والمراسلة بين الطرفين لذا فقد وجهوا قسماً من قوتهم
رابطت في الجهة الغربية خوفاً من أي حادث يقع فيجعلهم في حيرة
من أمرهم ••••• وقد خبروا هذا من تاريخهم ، وتعلموا درساً من
ماضيهم ••••• ووجهوا القسم الثاني من القوة إلى الجيش المهاجم
وكان قائدهم الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وكان عليهم
أن يرابطوا في حصونهم المتينة ويتحصنوا في قلاعهم المتينة التي
طالما حمتهم وقت الشدة ومنعتهم من خصومهم زمن المصائب
والنكبات ••••• إلا أنه على ما يظهر صعب عليهم رميهم بالجبن
ولم يهزموا بعد أمام آل سعود ••••• والله هو المدبر ، وهو
يحكم ما يريد •

خرج الأمير محمد بقوته من أبها واتجه نحو الشرق لملاقاة
ابن مساعد والتقى الطرفان عند حجلة ••••• ودخل الجيش
السعودي بمعظمه عسير عن طريق بلاد بني مالك فوصلوا ولا يزال
محمد بن عبد الرحمن آل عائض في حجلة ووصل الخبر له أن

أبها قد اجتاحت فذبت الفوضى والذعر وهام الناس على
وجوههم وتبعهم من بقي من الجيش السعودي في حجلة
في وجههم فأصيب من أصيب وقتل من قتل ونجا من نجا وكان
محمد جرح وفر الأمير عبد الله بن عبد الرحمن وسار إلى القوات
المرابطة من جهة الغرب حيث أسعف أما الأمير عبد العزيز
بن مساعد فقد تقدم نحو أبها ودخلها دون مقاومة ، وكان الأمير
حسن بن علي آل عائض في بلدة السقا واستمر القتال بينه وبين
الجيش السعودي ما يقرب من عشرين يوماً ورغم ما حدث
من استسلام بعض الجند والقبائل إلا أن الأمير ظل مع ٨٠٠ من
رجاله معتصماً في حصنه •

بدأت المراسلات السلمية بين الأميرين ابن عائض وابن مساعد
انتهت بنزول الأول إلى أبها واستسلامه وعندها أعلن ابن مساعد
العفو العام ، واستقبل وفود القبائل ، وأرسل وفداً إلى الادريسي
لتحديد الحدود بينه وبين عسير

عاد ابن مساعد إلى الرياض ومعه الأمير حسن وبنو عمه
وبقيت أبها تحت إشراف عبد الله بن أحمد بن مفرح •

جرى اتفاق في الرياض بين الملك عبد العزيز وآل عائض
على أن تكون عسير مرتبطة إسمياً بنجد ، على أن تكون المساعدة
والتجنيد وقت الضرورة وحين يطلبها ابن سعود ولم يكن
الملك عبد العزيز يطمع آنذاك في ضم عسير لوجود ابن رشيد في

حائل والشريف في مكة يناوئانه ولهذا كانت معاملته آل
عائض معاملة طيبة

عاد الأمير حسن بن علي آل عائض إلى أبها ومعه ابن
عمه الأمير محمد بن عبد الرحمن على ما اتفقوا عليه مع الملك عبد
العزیز آل سعود ..

كانت السلطة في أبها بيد آل عائض ، والسعوديون
الموجودون في أبها ومنهم الأمير شويش يقدمون الاحترام للأمير
حسن وبقي الأمر كذلك ما يقرب من ثمانية أشهر حتى
شعبان ١٣٣٩ هـ حيث نقل الأمير شويش وجاء الأمير عبد الله بن
سويلم من الرياض ولم يطل الوضع إذ اختلف ابن سويلم مع
الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ لسياسة القسوة التي
اتبعتها ابن سويلم مما جعل الشيخ يغادر أبها فعزل ابن سويلم
واستبدل بالأمير فهد بن عبد الكريم العقيلي .. وتغيرت معاملة
الأمير السعودي للأمير حسن فواجههم آل عائض فما تغير الوضع
فاتجه الأمير حسن إلى حصن حرمة ولم تلبث مدة حتى شعر
الأمير فهد بالقبائل تحيط بمدينة أبها وتحاصرها وكان على رأس
الحركة الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض وسعيد البطاط ،
ونزل الأمير حسن من حصنه في حرمة لقيادة الحركة واستمر
الحصار عشرة أيام ثم تم الصلح على أن تغادر الحامية السعودية
أبها وتنتقل إلى بلاد شهران وأن يتعهد الأمير حسن بعدم مس

أحد من أفرادها بأذى ضمن حدود عسير وألا تتعدى هي من جهةها
على أحد من الرعايا التابعة لأماراة عسير .

غادرت الحامية أبها وانتقلت إلى بلاد شهران وعندما وصلت
إلى خميس مشيط استقبلها شيخ شهران سعيد بن مشيط ورؤساء
قبائل بيشة وشيخ قحطان ابن دليم ورفع الأمر إلى الملك
عبد العزيز يطلبون منه النجدة .

علم الأمير حسن بقاء الحامية في خميس مشيط فاعتبر أنها
لاتزال ضمن حدود إمارته فتتبعها على رأس جيش من عسير
واشتبك الطرفان في معركة حامية وكانت النتيجة وقوع الحامية
في يد الأمير حسن واستسلام سعيد بن مشيط وفرار رؤساء بيشة
فعفا عنهم الأمير حسن وعاد إلى أبها أما الحملة التي جاءت
من نجد مدداً فقد لاذت بالفرار ، مما جعل الملك عبد العزيز يتأثر
كثيراً ويعاقب أفرادها ثم سارع بإرسال جيش كثيف على
رأسه ابنه فيصل فوصل إلى بيشة وتقدم نحو بلاد شهران . .
وسارع أهل عسير بإمرة محمد بن عبد الرحمن الذي رابط في
حجلة وأرسل قوة لمساندة حامية بيشة . وكانت قوات عسير قد
وزعت في جهات عدة وبخاصة في الغرب خوفاً من كل طارئ
يحدث أو من حركة يقوم بها الادريسي .

تقدم الأمير فيصل بن عبد العزيز والتقى في جنوب غربي
بيشة بقوة من بني شهر وغيرهم وجههم الأمير حسن فبدد الأمير
فيصل شملهم في موقع العين وتابع زحفه حتى إذا وصل إلى

خميس مشيط التقى بالقوة التي تريد يشة فانتصر عليها وسار نحو الغرب فالتقى في حجة بقوة عسير •

خافت إحدى القبائل على أوطانها ففضلت مغادرة حجة والدفاع عن مواطنها من القوة السعودية التي أرسلت من تلك الجهات وعندها رأى الأمير محمد أن ينسحب بقية المرابطين إلى مواطنهم •••• وعاد هو إلى أبها بدون رجال ومنها سار إلى الحجاز يطلب النجدة •

جرت معركة بسيطة في حجة سار بعدها الأمير فيصل إلى أبها ودخلها عام ١٣٤٠ هـ من غير قتال •

اعتصم الأمير حسن بحصن حرمة •••• وجرت مراسلات بينه وبين الأمير فيصل إلا أنها لم تصل إلى نتيجة فتقدمت سرية سعودية نحو حرمة واستطاعت دخولها بعد عدة معارك إلا أن الأمير حسن قد نجا بنفسه وأهله واتجه نحو الغرب ••••

علم الإدريسي بخبر الأمير حسن فطلب من عامله على رجال ألمع مصطفى النعمي أن يتعقب الأمير حسن ويقبض عليه ويرسله إليه إلى صبا أو يسلمه إلى الأمير فيصل •••• إلا أن ابن عائض استطاع الإفلات من مصطفى النعمي ، والانضمام إلى جيش الشريف حسين الذي كان قد وصل من مكة وعلى رأسه الشريف راجح والأمير محمد بن عبد الرحمن الذي سار إلى الحجاز - كما ذكرنا - بعد دخول الأمير فيصل أبها •

أما الأمير فيصل فبعد دخوله أبها نصب عليها الأمير سعد بن
عفيصان وعاد إلى الرياض •

تمركز الجيش الحجازي في بارق واتجه نحو السراة عن
طريق عقبة « ساقين » حيث تمركز في باحة تنومة ، فأرسل ابن
عفيصان سرية بقيادة ابنه سليمان فالتقى بالجيش الحجازي
الزاحف نحو أبها في بلاد بالأسمر في موقع « مسفرة » فانهزم
الجيش السعودي وقتل قائده سليمان بن سعد بن عفيصان
ومحمد بن سعيد بن مشيط وتقدم الجيش الحجازي
نحو أبها وعلى مقدمته الأمير حسن وابن عمه محمد بن عبدالرحمن
فحاصر الجيش أبها ، واستسلمت المدينة واعتصمت الحامية
السعودية في قصر شدامدة عشرين يوماً ، وكادت أن تستسلم إلا أن
النجدة جاءت من نجد ، وفي الوقت نفسه طلب الشريف حسين من
جيشه الانسحاب من أبها والتوجه نحو الطائف لمعاونة بقية قواته
التي تصطدم هناك بالقوات السعودية وانسحب آل عائض
إلى حرملة •

توفي سعد بن عفيصان عام ١٣٤١ هـ وتولى إمرة أبها مكانه
محمد بن جيفان واستمر في إمارته مدة ثلاثة أشهر حيث أبدل
بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم الذي استطاع أن ينزل الأمير حسن
من حرملة إلى أبها ، وأن يزوره في قصره في السقا ، وتفاوض معه

واقتهى الاتفاق بارسال الأمير حسن إلى الرياض (١) حيث بقي فيها حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧ هـ وباستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية .



(١) وصل إلى الرياض في يوم كان جلالة الملك عبد العزيز يعرس فيه على زوجه ابنة طلال بن رشيد وربما كان هذا السبب في خفة النعمة عليه .

مُوجَز تَارِيخ عَسِير

أَيَّام الرِّسُول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٠ — ١١ هـ	الصدر بن عبد الله الأزدي
١١ — ٣٤ هـ	الخلفاء الراشدون عبد الله بن ثور
	الأمويون ضمن ولاية مكة المكرمة •
	العباسيون تتبع ولاية مكة المكرمة •
	خروج علي بن محمد بن عبد الرحمن
١٦٩ هـ	الطولونيون
٢٥٤ — ٢٩٣ هـ	العباسيون
٢٩٣ — ٣٣٠ هـ	الآخشيديون
٣٣٠ — ٣٦٢ هـ	الفاطميون
٣٦٢ — ٤٦٣ هـ	السلجقة
٤٦٣ — ٥٦٧ هـ	الايوبيون
٥٦٧ — ٦٢٦ هـ	بنو رسول وبنو طاهر
٦٢٦ — ٦٥٠ هـ	المماليك (أحيانا بنو طاهر
٦٥٠ — ٩٢٣ هـ	باسم المماليك)

العثمانيون	ولاية عثمانيون	٩٣٣ - ١٠٣٨ هـ
	أمراء محليون	١٠٣٨ - ١٢١٥ هـ
السعوديون	محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي	١٢١٥ - ١٢١٨ هـ
	عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة المتحمي	١٢١٨ - ١٢٢٤ هـ
	طامي بن شعيب المتحمي	١٢٢٥ - ١٢٣٠ هـ
	محمد بن أحمد المتحمي	١٢٣١ - ١٢٣٣ هـ
	الشريف حمود حاكم أبي عريش عدة أشهر	
المصريون	محمد علي باشا والي مصر	١٢٣٣ - ١٢٣٩ هـ
الاستقلال	سعيد بن مسلط	١٢٣٩ - ١٢٤٢ هـ
	علي بن مجثل	١٢٤٢ - ١٢٤٩ هـ
	عايض بن مرعي	١٢٤٩ - ١٢٧٣ هـ
	محمد بن عايض	١٢٧٣ - ١٢٨٨ هـ
العثمانيون		١٢٨٨ - ١٣٣٧ هـ
الاستقلال	حسن بن علي بن محمد بن عايض	١٣٣٧ - ١٣٤١ هـ
	أصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية	١٣٤١ هـ

الخلاصة

وأخيراً فإن هذه البقعة الخيرة من الأرض إذا ما وجهت إليها الأنظار ، ومدّت فيها المواصلات ، وأقيمت فيها المشروعات ، وأعدت فيها وسائل الراحة كانت مركز خير وسعادة لأهلها ، ولمن يأتيها بسبب ما وهبها الله من مناخ عذب ، وما منحها من مناظر أخاذة ، وما أعطى أهلها من صفات طيبة وما هداهم إليه من عقيدة سمحة ، فهم للضيوف أهل ، يجيدون استقبال الزوّار ، ويحرصون على خدمتهم وتأمين راحتهم ، وهذا ما لاحظناه في عاداتهم الاجتماعية .

وبهذه الصفات فلن تكون بلادهم كالمصايف الأخرى مجالاً للكثير من الأعمال التي تأبى أخلاقنا أن تكون

وعندما تصبح عسير مصايف الجزيرة ، فإن المنطقة ستسعد ، وسنحفظ على أبنائنا أخلاقهم ، ويحفظون أموالهم لأنفسهم وهذا ما نرجو بل هذا ما ننتظره في المستقبل وننظر إليه في الخيال والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

- البداية والنهاية ابن كثير
- الدول الإسلامية ستانلي لين بول
- الكشف الجغرافية - حقيقتها - دوافعها محمود شاكر
- إمكانية التنمية الزراعية حسن حمزة جمرة
- الدولة السعودية الثانية عبد الفتاح أبو علي
- تاريخ عسير هاشم بن سعيد النعمي
- تاريخ المخلاف السليماني محمد بن أحمد عيسى العقيلي
- تاريخ نجد محمود شكري الألوسي
- تاريخ البلاد العربية السعودية منير العجلاني
- صفة الجزيرة العربية الهمداني
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث
- ابراهيم بن صالح بن عيسى
- رحلات في عسير يحيى ابراهيم الألعي
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي
- غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة (البرق اليماني في الفتح العثماني) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكّي
- في بلاد عسير فؤاد حمزة

- قلب الجزيرة العربية فؤاد حمزة •
- مسند الإمام أحمد الإمام أحمد •
- معجم البلدان ياقوت الحموي •
- في ربوع عسير محمد عمر رفيع •
- في سرة غامد وزهران حمد الجاسر •
- مقاطعة جازان - المعجم الجغرافي - محمد بن أحمد العقيلي •
- مذكرات سليمان شفيق الكمالي سليمان شفيق الكمالي •
- مذكرات جعفر الحفظي جعفر الحفظي •
- نجد وملحقاته أمين الريحاني •
- مجلة العرب التي تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
باشراف حمد الجاسر

- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز خير الدين الزركلي •
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب
تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة •
- جغرافية شبه جزيرة العرب محمود طه أبو العلا •
- عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر •
- جزيرة العرب في القرن العشرين حافظ وهبه •
- خمسون عاماً في جزيرة العرب حافظ وهبه •
- نفحات من شعر عسير من قصائد أسلاف آل الحفظي •
- ملحمة عيد الرياض بولس سلامة •